موت على قيد الحياة

موت على قيد الحياة: قصص ط٢
الكاتبة: إنجي مطاوع

تصميم الغلاف: عمرو أنور

تدقيق: محمد أحمد عبد الغفار، محمود سيد
إخراج فنيّ: إنجي مطاوع

رقم الإيداع: ٢٧٤٣٩/ ٢٠١٨
الترقيم الدولي:

"جولدن بوك للنشر والتوزيع"

رئيس مجلس الإدارة : معاذ محمد

المدير التنفيذي : مي زيادة

مدير التوزيع : طارق عبد الحميد

Tel:٠١٠٢٥٢٥٤٢٤٣

Tel: ٠١٢٢٦٨٤٩٧٤٣

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

موت على قيد الحياة

قصص قصيرة

إنچي مطاوع

GOLDEN BOOK FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTION
الكتاب الذهبي
للنشر والتوزيع

إهـــــــداء

إلى كل القلوب الجريحة صبر جميل . .

لعل الله يبدل بؤس الحال إلي حال أفضل مرتقب

مقدمة

الحب مشاعر طبيعية لكل إنسان، حق من حقوقه الطبيعية في الحياة، عليه الحفاظ عليها والدفاع عنها، عليه الصمود في مواجهة الدنيا وتقلباتها لحمايته.

المحبان والدان والحب وليدهما، إذا ضعف الأبوان عن مواجهه الحياة واحتواء وليدهما ضاع من بين يديهما ليتيه وسط مجاذيب العشق ومجانين الغرام، أو لتتجمد إنسانيتهما أحيانا ويعيشا كمسخ يتنقل بين الأيام، كما مومياء جميلة المظهر على عكس المعتاد بشعة القلب، قاسية الأفعال.

ليتك سألت

شاب عادي يرتدي بدلة سوداء كلاسيكية أنيقة، وحول رقبته «بابيون» لامع لا يتناسب مع شمس الصباح المتفاخرة بشراسة من دون مراعاة لمشاعر البشر ببريق ألوانها الذي يعمي العيون وحرارتها المستعرة كالجحيم، يتدفق العرق بهدوء على جبينه الأسمر ليختفي في لحيته التي تحتضن وجهه في دفء، طويل ووسيم على الرغم من ملامحه المرهقة، مبتسم، ولكن يا لها من ابتسامة حزينة. . حتى عيناه تبثَّان الطمأنينة في نفس من يراه، على الرغم من حزنهما الدفين. . انتهى من سيجارته للتوٍّ ثم بدأ يترنَّم بصوت مسموع بكلمات الأب شنودة:

«أنا في البيداء وحدي ليس لي شأن بغيري

لي جحر في شقوق التل قد أخفيت جحري

وسأمضي منه يومًا ساكنًا يا ناس قبري

أنا في البيداء وحدي

سارحًا أجتاز في الصحراء من قفر لقفر

ليس لي دير فكل البيد والآكام ديري

لا ولا سور فلن يرتاح للأسوار فكري

أنا طير هائم في الجو لم أشغف بوكري

أنا في الدنيا طريق في إقامتي وسيري

أنا حر حين أغفو حين أمشي حين أجري

وغريب أنا، أمر الناس شيء غير أمري

وغريب أنا، أمر الناس شيء غير أمري

أنا في البيداء وحدي ليس لي شأن بغيري

أنا في البيداء وحدي» .

أنهى ترنيمته ناظرًا حوله . . لَمْ يتحلق حوله الناس كما توقع ليستمعوا إليه، حتى لم يستغربوا وقفته أمام سور كوبري دمياط العلوي، نظر إليهم كما عاشق مفارق لأوطان حبيبته، طفرت دمعة من عينه ثم تبعتها أخواتها وهو صامت ينظر ولا ينظر، يقلِّب نظره بين الوجود من دون حديث حتى ظن أنه قد جُنَّ .

مرَّ فتى صغير لا يتجاوز الثانية عشرة، مهلهل الملابس، تبدو آثار حرب لقمة العيش على ملامحه السمراء وملابسه الممزقة والمتسخة . . ناداه فاقترب منه قائلًا :

ـ اسمي «علي» . . «علي العفريت» . . أي خدمة؟ تؤمر .

ـ أهلًا «علي»، أنا «جو» . . «جوزيف»، خذ، هذا كل ما معي، خمسمائة جنيه وساعة ليست أصلية لكنها نسخة من الأصلية باهظة الثمن يمكنك بيعها إذا أردت، سأمنحك هذا كله ولكن ابقَ معي قليلًا .

ـ لمَ تقف هنا؟ لا يقف هنا إلا من يريد الانتحار؛ فالمنظر ليس جميلًا لتقف كي تستمتع به!!

ـ لا شأن لك، الأمر أكبر مما يمكنك استيعابه أو يمكنني سرده .

ـ جرّب .

ـ حتى إن كان يمكن سرده فأنا لا أريد، أو ربما أريد وأخاف التفوه بحديث سيقلب نظام الكون حولي .

ـ ماذا تريد مني إذًا؟

ـ على الرغم من أنك تثير غثياني لكنني أحتاج إلى أنيس!

ـ الجميع يفعل ويتهرب مني، يثير مظهري استياءهم وكأنني من اخترت هذه الحياة، ثم في مقابل ما منحتَني يمكنني البقاء معك للغد إذا أردت .

ـ ماذا تفعل إذا خانك عزيز عليك؟

ـ لا عزيز عليَّ، «حرَّص ولا تخوِّن» . . هكذا علمتني الدنيا .

ـ كلامك لا يفيدني، سئمت هذه الدنيا . . عليك الانصراف، لديَّ موعد مهم حاولت التملص منه، ولا يمكنك البقاء معي .

حكّ رأسه بيديه قبل أن يخبره ببلاهة :

ـ يمكنني الاستماع إليك .

أغمض عينيه مفكراً قبل أن يضيف :

ـ هل جربت أن تغضب وتثور على ما أنت فيه؟

حرّك الفتى رأسه نافيًا، فابتسم الشاب على مضض وعاد يثرثر بلا هدف من وراء كلماته كما شعر :

ـ ليس للجميع حق الغضب، أو بالأحرى حق التعبير عن غضبهم . . حق الانتصار لشيطان مُتغلغل في الجوف، يمزِّق الأحشاء نهشُ حيات مدمنة لحبوب الهلوسة، ليس للجميع رفاهية الإعلان عن شيطان سرق آدميتهم، عن غول نسج شباكه حول عذراء هواها . .

حاول الصغير مقاطعته لكن الشاب منعه بإشارة يد من دون أن يقطع حديثه المتواصل الذي يفوق قدرات الفتى على الفهم والاستيعاب، هو فقط يريد أن يُخرج ما في جوفه لعله يرتاح:

ـ نعاني جميعًا قهرًا وحرمانًا ثم كبتًا، مواجهات حادة مع ما يغضبنا من دون أن نُظهر التوتر، مواجهة ليست بمواجهة، هي حرب ثلجية للأعصاب؛ حيث يمارس صاحب القوة والنفوذ سلطاته على الأضعف، ليغضب أكثر.. يتعطش لدماء مُغضبه أكثر وأكثر، لكن بلا فعل، بلا صوت، بلا حركة، بلا تعبير.. لا شيء يُطفئ جذوة بدأت الانطلاق من الأعماق، تؤججها خمرُ عذاب معتقة منذ سنوات وسنوات، وكأنما بطل شارة الغضب يعلنها للغاضب صراحة: تبًّا لك.. اصمت، عليك اللعنة.. لست بإنسان كي تغضب أو مثلي لتثور.. لست من طينتي العاجية أو نوعي المتفرد.. عائلتي أعرق ودمائي ليست كدمائكَ ملوثة برداءتكَ.

وبكل سخافة سأله الشاب:

ـ هل تقصد أنك غاضب مني ولا تظهر ذلك لأنني أقل منك؟!

تأفف قبل أن يلوي فمه ويكمل مخاطبًا السماء:

ـ يا ربي! يغضبني الشخص منهم، ثم بكل بجاحة يقول: من أنتَ كي تُصدر أي رد فعل يعلن رفضك لما أفعل؟! سؤال لا ينتظر إجابة. الغضب مكبوت، المُغضب متنمِّر، والغاضب هناك في الركن المظلم طاقة غير مرئية، نوح ونواح، سخط محبوس، ثورة مقيدة. احذر، صحيح بروتوكول العظمة والعنصرية يؤكد: «ليس كل غاضب له حق إعلان غضبه». لكن ما لم يذكره أن الغضب وسطوته يبقيان في الداخل مطمورين بالقش ينتظران لحظة الصعود للهاوية.. احذروا إنسانًا غاضبًا يكتم غضبه؛ فالسبب والمُسبب حران طليقان، أما العلاج فتمت قرصنته ولا جدوى لانتهاك شيخوخته، ليظل الغضب متسيِّد الموقف، والغاضب بطل الأحداث، وكوابيس متتالية تسعى خلف الجميع بأحاسيس مقتولة عمداً ومشاعر خذلها الجميع، الغضب رفاهية للبعض، وطعام سائغ للمحروم.

صرخ فيه الفتى بصوت منخفض كي لا يسمعه أي شخص:

ـ من يغضبك أغضبه، أو سلِّط عليه من يأخذ حقك بذراعه.. تبدو من ميسوري الحال، ادفع لي وسأتكفل بإنهاء الأمر لأجلك، سأكرمك، لا تقلق. ما رأيك؟!

ضحك بقوة حتى ذرفت عيناه من دون أن يقصد، تنفس بهدوء قبل أن يضيف:

ـ يتملَّكني الشعور بالذل والمهانة والرغبة في الانتقام، لكن كيف أنتقم من ابنة معلمي الفاضل وزوجته صديقة طفولة أمي المبرَّأة من أي فرية؟ ويالأسفي؛ فالفرع لم ينبت صالحًا كما الأصل وبُليت بمن لم تصُن عرضي، لا سبيل لتنفيذ عَرضك، سوف أنتحر، ولكن لا أعرف كيف ولا لأَجل من؛ فهي لا تستحق، لكنني سئمت الحياة.

تأفف الفتى مما يسمع بعدما استشعر مصيبة قادمة، قرر إنهاء الأمر ليبعد نفسه عن أي مشاكل محتملة، تحرك بخفة ليبتعد بضعة أمتار ثم ودَّع الشاب قائلًا:

ـ لا أفهم أي كلمة مما تتفوه به.. وداعًا.

وكصاروخ كوبي الصنع حاول أن يجري تاركًا «جوزيف» وحيدًا، من دون استفسار آخر؛ فلقد أخذ ما يهمه ولا شأن له بأي أمر آخر.

لكنه أمسكه من ذراعه وأوقفه.. قال:

ـ لن أكلِّفك الكثير، روحي غاضبة، امتلأت كل حناياي وجوانبي بوحش الغضب الشرير، تلك الزهرة النابتة من الجحيم، ابن شيطان سافل يتلذذ بسادية المجون، يخنقني الشعور ببركان كامن داخلي يوشك أن ينفجر، حريق يتهيَّأ للنشوب وسط أحراش أنضجها غضبي على مهل.. قهر وحرمان سنوات مجحفة العطاء، ثمرة في أوج عنفوان صباها تحترق

ضجراً لكبتها، غجرية أفلت منها زمام العقل، أفٍّ لها زوجتي، تملَّكني الغضب ممَّنْ كتب عليَّ الحياة معها وخانتني.. من سيصدِّقني إذا أفشيتُ سرها؟ لن يصدقني أي شخص مهما فعلت أو قلت إنها قد فعلت ذلك الفعل المُشين، ومع من؟ مع رفيق صباي وشبابي، صديقي الوحيد!

أخرج «جوزيف» خطاباً من جيبه ونظر إليه قليلًا ثم طواه ووضعه ثانية في غلاف بلاستيكي، أعطاه للفتى وهو يوصيه أن يراقب الأمر من بعيد ثم يذهب خلف مَن سيخرجونه ليسلِّمه إلى زوجته، وشدد عليه أن يوصله إلى زوجته فقط من دون أن يراه أي شخص، حاول الفتى الاعتراض لكنه قال:

ـ هذه وصيتي الأخيرة، هيا ابتعد من هنا.

تركه وجرى إلى نهاية الكوبري ثم وقف ليراقب ما ينوي هذا الشاب فعله، وهناك حيث يقف «جو» وقف مغمضًا عينيه ثم أخذ شهيقًا طويلًا وهو مغمض العينين ثم وقف أعلى سور الكوبري، سأل نفسه خلال ثوانٍ قليلة:

ـ هل يستحق الأمر الخلاص من الحياة؟ هل تستحق الحياة أن تُعاش؟! لم أعد أستطيع تحمُّل بذاءات الحياة معي أكثر من هذا، هذه المرة كانت الضربة قاضية.

قذف بجسده المنهك جسديًا ونفسيًا، ليغطس ويُسحب للأسفل.. قاوم بلا أمل في لحظاته الأخيرة قبل أن يصل إلى الأعماق ليحتضنه القاع بلا ملل؛ فقد اختار منطقة بها دوامة تسحب لأسفل كي لا يستطيع أحدٌ إنقاذه، تم لـ«جوزيف» ما أراد، تحلَّق الناس من جديد أمام سور الكوبري ما بين صارخ ومُناد على من قد يقفز ليُسعفَ الغريق، لكن لم يحاول أحدٌ إنقاذه، لم يجازف أيٌّ من المتحلقين؛ فهي منطقة معروفة: الساقط فيها مقتول، والهارب منها موعود بلقاء آخر مع ملك الموت.

في المساء، قامت الضفادع البشرية بمهمتها بنجاح، وتم انتشال الجثمان.. نُقل إلى المستشفى العام، ذهب والداه وإخوته مع زوجته الثكلى الشاردة من فرط صدمتها، تعرّفت مع والده على الجثة.

في أثناء انشغال والده بإنهاء إجراءات استخراج تصريح الدفن، وانشغال إخوة «جوزيف» مع والدته التي سقطت مغشيًّا عليها لتدخل في غيبوبة سكر، كان «علي» يراقب من بعيد، لعله يحصل على مكافأة نظير الوصية الأخيرة التي معه، انتظر حتى لمح شابة جميلة تقف وحيدة تبكي، اقترب منها ومنحها الخطاب ليقطع همهمة صلواتها: «يا إله العزاء والرأفة، نتوسل إلى حنوك الأبوي أن تهب عبيدك روح العزاء والصبر وتعزي قلوبهم وتساعدهم ليسلِّموا أمرهم لإرادتك وليعلمهم روحك الأقدس».. أخذته ونظراتها تحاول الاستفسار من دون أن تتفوه بكلمة.

ـ زوجك منحني إياه قائلًا إنه وصيته الأخيرة .

ـ شكرًا .

ثم فتحت حقيبتها ومنحته مبلغًا من المال .

ابتهج وكرر على مسامعها جملة كان يسمعها أحيانًا عندما يذهب لسرادقات العزاء : " أصلِّي ليرسل الرب لكم الروح المعزية لتلهمكم الصبر والسلوان في مصابكم " .

ـ آمين .

ابتعد قليلًا وتركها تنظر حولها فلم تجد أيًّا من معارفهم ، أخرجت الخطاب من مغلفه فوجدته قد كُتب على ظهره الخارجي : «يسلَّم ليد زوجتي ، لا أحد آخر غيرها» ، ما أقلقها . . تلفتت حولها ثانية ثم فتحته وبدأت تقرأ :

زوجتي العزيزة . .

ما زلت حبيبتي للأسف ، أنا عشق عاشق بحره يروي دموع الريح ، وسط البريةَ طمرت بأردية رهبنتي لخالق الملكوت ، أيقظني من سُباتي عشق أحد خلقه ، وبالحظي ذقتُ من عشقه إحساس الرُّبى من مالك الأكوان ، لكنني استيقظت على فاجعتي فيه . .

نعم، فجعتني فيك، لا أعلم إن كنت ستغضبين لانتحاري وتشعرين بالأسف حيالي، أم تشعرين بالفرحة لخلاصك مني، لكنني أدرك جيداً كم سيتعذب والداي بسببي؛ لذا، فرجاء أخير؛ حاولي رعايتهما في هذه الفترة، ثم يمكنك الذهاب لعيش حياتك كما تريدين، اعتبري أنها وفاء لدينك معي، أخبريهما أنني أعتذر بشدة وبأني كلي ثقة بنجاتي في الأبدية بقوة إيماني بالمخلص يسوع.

هل تستغربين أني مؤمن وعلى الرغم من هذا فقد أقدمت على الانتحار؟! فكرت طيلة ثلاثة أيام لعلِّي أجد مخرجًا يُنقذ روحي من هذا الغثيان الذي ألقيتني فيه، لكنني لم أجد ولم أستطع التسامح أو منح الغفران لمن أخطأت في حقي، لم أستطع إطفاء نيران الغضب المستعر في أعماقي، ستظل عيناكِ خائنتين في نظري دومًا.

يالسخرية القدر مني! ليلة تخبريننى بحملكِ أخيرًا، والليلة التالية تخبريننى بخطيئتكِ، كيف أثق بك مرة ثانية؟

هل هو ابني؟ هل أذهب لتحليل جيناته لأتأكد؟

هل سينفي إثبات بنوته لي خيانتك؟ هل سيضمن ألا تعاودي الكرَّة وتخونيني؟ لم أستطع التعامل مع الأمر ولم أقدر على الشكوى وإفشاء أمركما، لم يمكنني الذهاب للاعتراف علِّي أرتاح.

كنت أفكر لثلاثة أيام متواصلة بلا نوم، دخّنت لأول مرة في حياتي، وشربت الخمر كما سكير عربيد. .

في النهاية. .

لم تعجبني حياتي الجديدة، فكيف لفيلسوف مثلي أن يعيش الحياة بعربدة وتخونه امرأته ويصمت؟! لذا، فقد اخترت التضحية بنفسي علَّك تتوبين وتعودين لحمى يسوع، وأتخلص أنا من قهري وعذابي بجوارك. . يمكنكِ الآن الذهاب إليه.

أتمنى أن تُقدِّري تضحيتي هذه، أو ربما هو انتقامي منكما وليست تضحية، فقد أنجح في فرض عذاب أبدي عليكما في هذه الدينونة، كنت أشعر أنني شخصان: شخص يسامح وشخص يرغب في الانتقام؛ لذا فقد فكرت وفكرت وقررت. . كتابة هذا الخطاب.

أعلم أنك لا تفرطين في أي شيء لديكِ ببساطة؛ لذا أعلم جيدًا أنك ستحتفظين به معكِ ليكون عذابك بعديَ وربما قد يكون هو مخلصك وكاشف دناءتكَ معي، أتستوعبين الآن لمَ لا أعرف إن كنت بانتحاريَ أضحي أم أنتقم منكما؟ لكنني متأكد أنني أمنح الطفل فرصة لحياة طبيعية بعيدة عن شكي ووساوسي ناحيتكما.

«إيمي» . . صليتُ لأجل أن يطهِّر الرب روحك، وأنتِ صلي لروحي واطلبي لها الغفران.

يا ربي . . «لاَ تَطْرَحْني منْ قُدَّامِ وَجْهِكَ وَرُوحكَ الْقُدُّوس لاَ تَنْزعْهُ منِّي»، «طَهِّرْني بالزُوفَا فَأَطْهُر»، «ارْحَمْنِي يَا الله حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ»، وداعًا.

* * *

سالت دموعها وعادت لتهمهم بصلواتها:

ـ «اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ وَامْحُ كُلَّ آثَامِي».

«اغْسِلْنِي فَأَبْيَضّ أَكْثَرَ منَ الثَّلْجِ».

«اغْسِلْنِي كثيرًا منْ إِثْمِي وَمنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي».

في حين يمر بمخيلتها شريط رمادي اللون، تتذكر عبره كيف تقدَّم «جوزيف» لخطبتها وهي مرتبطة بصديقه، لم تستطع الاعتراف بحبها ولا التسويف، في ظل ظروف قاسية يعانيها «لبيب»، حبيبها . . تم الأمر؛ فالعائلتان صديقتان منذ سنوات طويلة، سافر «لبيب» إلى عمه في لبنان وتركها وحيدة، مرت فترة الخطوبة سريعًا ثم تم عقد الأملاك.

همست :

ـ مر عام علينا «جوزيف»، كنت أتقبل الأمر بهدوء، كنت أقوم بدوري كزوجة على أكمل وجه، صحيح تأخر الإنجاب، لكنك لم تضايقني أو تحاول مناقشتي في أسباب التأخير، حتى عاد «لبيب» منذ شهرين، شهران فقط قلبا كل الموازين رأسًا على عقب. . حاولت المقاومة بعدم حضور أي مناسبة قد يكون موجودًا فيها، لكني وبغباء سقطت في براثن الخيانة.

منذ شهر، عندما ذهبت لزيارة صديقتي «هانيا»، أخت «لبيب»، لم أجد غيره، ومع هذا دخلت.

لِمَ دخلت الشقة وهو وحيد فيها؟ لِمَ استسلمت له؟ لِمَ لَمْ أقاوم؟ ولِمَ اعترفت بكل شيء لكَ ليلتها «جوزيف»؟ لا أدري، المهم أنكَ كنت تتعذب وتذوي أمامي طيلة هذا الشهر.

أين اختفيت؟ منذ ثلاثة أيام بعد أن تزينت وتعطرت ظننت أنك تجهِّز لمفاجأة تخبرني فيها بمسامحتك، خاصة وقد ارتديت بدلة الزفاف، ظللت باقيةً في انتظارك. . واليوم صباحًا أخيرًا نمتُ متعبةً، لكن أيقظتني في الثالثة مساءً مكالمة من والدك وهو يبكي ويصرخ :

ـ عثرنا على «جوزيف» . . وجدناه، لكن بعد فوات الأوان، انتحر «جو» يا «إيمي»، انتحر فلذة كبدي، ما كنت أظن أنه يعاني لتنبُّح والدي هكذا.

* * *

آه «جوزيف»! نظرات الجميع تنحر في الروح قبل الجسد، يفرض شعور الذنب قميصًا يُسجنني داخله، فرضت عليَّ عذابًا أبديًا بفعلتك، يظن الجميع أنكَ انتحرت حزنًا على جدك المتنبِّح منذ شهر . .

كيف فعلت هذا وأنت الفيلسوف المثقف؟! لمَ لَمْ تسامحني كما توقعت منك؟ ليتك أخبرت الجميع ليقتلني والدي أو يسلِّمني للدير ليحبسني برد غرفة مظلمة علِّي أرتاح من عذابي هذا، ليتكَ سألت: هل تريدين العودة لحبيب لم يستطع المحاربة لأجلك؟ ليتك سألت «جوزيف» لكُنت أخبرتك «أنكَ الوالد وأني لم أقصد إيذاءكَ، أنني كنت متأملة في غفرانك».

وضعت يدها على بطنها تتحسسه، هرب «لبيب» عندما أعلمته بإخباري «جو» بالأمر، ماذا سيحدث لنا إذا عُرف هذا الأمر، طفلي البريء؟ عليَّ الصمود وإجادة دوري.

تلفَّتت حولها قبل أن تمزِّق الخطاب لنثر صغيرة جدًّا أودعتها سلة المهملات وحاولت التحرك . . أوقفها الفتى:

ـ أتريدين ساعة أصلية؟

قلَّبها أمامها، فلمحت حروفًا منقوشة على ظهر الساعة أخذتها منه وقربتها، لتجد «Emy & ju for Ever». يا الله! إنها هي.. لقد تخلص من ذكرياته معي.. قتلتُه بفعلتي.

ـ هل تأخذينها؟!

منحته خمسين جنيهًا ثم وضعتها في الحقيبة وذهبت إلى غرفة والدة «جوزيف» الهائمة في بحر الغيبوبة، نادتها وهي تبكي كي تشاطرها الحزن والنواح.

.

زهور الحياة

ـ مي . . مي

ـ تنادي كما لو كُنت في أخر الدنيا، أخفض صوتك وراعٍ الموظفين في الخارج سيعتقدون أنني قد سقطت مغشي علي.

ـ عذرًا شعرت أنكِ قد شردتِ، ها هي خذي زهرة التيوليب هذه صفراء كما تحبين.

ـ لم أشرد وغفرت لكَ فعلتكَ لأجل عيون التيوليب.

ـ بل تشردين دومًا عندما ترينني؟! سؤالا كثيرًا ما وددت طرحه لكن زمالتنا في البداية لم تكن تسمح بمثل هذه النوعية من الأسئلة، هل تتضايقين من رؤيتي؟.

ـ وكيف أتعامل معك وأبرمج لأجلكَ المواقع إذن، بالعكس يبهج قلبي رؤيتك فنحن الآن أصدقاء متفاهمان، كما أنكَ تذكرني بماضي بعيد قريب، أرى فيكَ عينيه وبسماته الغناء؛ لكن يسوءني مشاهدتك أيضًا لأنك تفتح شاشه عقلي على بداية نهاية دوري في حياته، تعرض بتمهل مشاهد انسلاله خارج عني، فيؤلمني قلبي أكثر وهو يعايش للمرة الألف مراحل انسلاخه مني، يا الله "ساري" كلما رأيتكَ رأيته ووسط صخب كرنفال الحياة، تخفي عيناه المشهد ويحتل كل الألوان رغم غيابه.

ـ قصة حب، هل مثل قصتي مع "ندا" سكرتيرتي؟!

ـ لا لم يكن سكرتيري، وبالتأكيد لم أتنازل عن عملي في تصميم المواقع لأكون سكرتيرته.

ـ تهربين هيا اخبريني عنكما.

ـ لا شيء قصة وانتهت.

ـ كيف ولماذا؟ هل نغصت عليه حياته كما باقي نساء هذا الكون اللطيف؟ أم أكثرت عليه الطلبات ومارست هوايتكِ في الشراء ببذخ حتى أثرتِ جنونه؟

ـ أتمنى لو ألقي العصير على وجهكِ لكنني الأهدأ والأكثر حكمه ولن أفعل وسأصبر عليكَ.

ـ هادئ أنا وحكيم ولن أنبس بحرف ثانية فهيا احكي.

ـ سأحكي من النهاية في العام الماضي، جاءت ليلة عيد الأضحى، وكنت الأنفس والأكثر أثيرية لنفسه فصرت أضحيته لألهه العادات وتركني لأنني كما يرى لن أتحمل الحياة المتوسطة لعائلته ولا التأقلم مع ظروفه، ظلت العلاقة متوترة لعدة أشهر حتى جاء يوم حاولت الاتصال بعدها أو محاولة فهم ما حدث لكنه غضب وطلب ألا أعاود الاتصال واخبرني أن

أهله لا يتقبلون وجودي بينهم وأن دموعي المسكوبة بعد فوات الأوان لن تفتح باب قلبه لوجودي من جديد، فأجبته لا تقلق، دموعي ليست دعوة للتحرر من تقاليدهم وتحدي ما قُرر، بل سأساعدك على الانتهاء مني والبدء من جديد؛ فلا تبتئس، وفراغ روحي بعدكَ الله الأولى بجبره.

ـ هكذا فقط، يبدو أن عمر قصتكما كان قصير لذا تنازلتِ عنها سريعًا.

ـ لا كانت على مدار عامين لكننا أخطأنا يوم اقتربنا وكل منا مُحمل بأعباء الماضي وجراحه، جعلناها نبراسا نحج إليه ونطوف سبع غضبات لتحكم بيننا عندما يلوح في الأفق شبح اختلاف، وقد كانت اختلافاتنا كثيرة حول تحديد ما هو مهم وما هو جدير بالتأجيل وللأسف كانت تربيتي تحكمني وكنت دومًا أصر على ما أريده وأراه من الأولويات.

ـ ولم فعلت هذا؟ لماذا لم تراعي ظروفه ما دمت تحبينه؟

ـ أنا اعمل وهو كذلك، كُنت أرى أن على كل منا التكفل بطلباته الأساسية فلماذا اخفض من احتياجاتي طالما لدي مصدر رزق بعيد عن عائلتي يكفيني ويمنحني رفاهية خاصة، هو من كان خائفا واقترب، ما كان عليه الاقتراب وهو للخوف أقرب من الحب.

ـ أعلم أن العيون متلصصة حولكِ كثيرة . . ألم يسعَ أحدهم بالحكمة بينكما ؟وبدعوة حق صالحكما؟

ـ لا كما أنه عندما تُحكم عقلك لحظتها أُبشرك لقد ضاع حُبك، وهو قد حكم عقله، ولم يكن ليسمح بتدخل خارجي، دعنا من هذا هيا "ساري" ابتسم واستمر في الضحك على أيا ما كان فالأيام تمر بلا حساب.

ـ صديقتي العمر لحظة من حب تعمره ولحظه فراق تنهيه، البعد جرح بسيف المسافة يداويه قرب روح الأحبة وإذا كُنتِ تحبيه حقًا فأعتقد أنكِ تتعذبين.

ـ لا أتعذب فقط ليتنى أفهم لمَ نموت والأجساد تحيا؟ أو لمَ نعيش والأرواح في ثُبات كأنها ميتة؟ ، عمومًا هو الآن مجرد ذكري تحرك لساكن قلبي ثم تعود لحالة بياتها الشتوي، وهو ولأنه غير الجميع تعايش مع واقعه الأليم بنصف ابتسامة، ليسهر مداعبًا ذكريات ساعته الرملية، وعندما يسلبه النوم الحياة يبيت في حضن دلال الخيال، تاركًا العصافير والفراشات والورود لإشباع طواحين الهواء.

استغرب ما سمع فسألها، "لم تقولين هذا؟"

ـ لأنه أكمل حياته فقد رأيته مع أخرى منذ فترة يمسك بيدها في هيام، هل من العدل أن يُعيد قصتنا ببطله جديدة بنفس صفاتِي ومواصفاتي سريعًا

هكذا؟ ؛ لم نفترق إلا من ثلاثة شهور فعليًا كانفصال نهائي وبحسب خرافات فرقتنا . .

هي أنا بلون جديد، فكيف يقهر القلب والروح ويعيد حزه بنفس السكين؟ ، أم أنني كُنت تجربة أراد خوضها للاستعداد للحب الكبير؟

يا الله ارحم حرقة قلبي، واحكم على ما في ضميره سكن .

ـ ربما الأمر ليس كما ظننتِ، ربما هو يحبك ويحاول انتهاز فرصة للعودة؟ .

ـ " اللي خدته القرعة تخده أم الشعور " وأنا أقول لها هنيئًا لك أسعدكِ الله فلا ذنب لقلبكِ المسكين بقلبي وما أصابه من سُلطان زمانكِ، هَو ماضٍ وانتهى .

روحي تائهة ما بين صعود وهبوط لكني أظل وردة تيوليب حمراء تمنح للكون عطره، أما حكايته معه فتتلخص في أنه يومًا كان قيدي الذي حررني واليوم هو قيدي الحارق لأوصالي، يومًا كان عزي وفخري واليوم هو من شمت الأرض في سمائي .

يومًا كان فرحي واليوم هو سبب غضب لروحي، يومًا كان من أطلق شقاوتي وجنوني واليوم هو سبب قهري، يومًا كان طفلي واليوم هو من

وئد روحي ودفن نبضي، يومًا كان أنا وأنا هو واليوم صار سبب حتفي، يومًا كان الحياة واليوم ذهبت الحياة عني.

ـ لازلتِ تحبينه؟

ـ لا

ـ تكذبين كلماتكِ بل أفعالكِ ونظراتكِ وشت بما في القلب طمرتِه.

ـ لا أكذب.. قد أكون فعلت يومًا وندمت بعد خذلاني، قد أكون توهمت ليال وأفقت على واقع رافض لأحلامي، لذا تعلمت درسي جيداً، أدركت أن من يحب لا يخون أو يضعف، لا ينتهز الفرص ليبدأ حب أخر، من يحب لا يعشم غير حبيبة بالحب، لا ينقض وعده ويبقى على عهده بالروح والقلب قبل الجسد والفعل، من يحب لا يزرع في القلب فتنة ثم يرسل دموعه أنهارا تشتكي وحدة زائفة ووفاء قتل على عتبات غنج ودلال الكلمات.

ـ إذن كنتِ وقد يعني هذا أنكِ لازلتِ بدليل عتابكِ وحسرتكِ البادية بين الكلمات؟

ـ لا لم أعد باقية على العهد، فمما علمتني الأيام أن للحب ناسه وأنا لست منهم لا أصلح للحب ولا لمنازله، ومع هذا أجيد دور الحبيبة المحبة

كتعويض ربما عن قسوة أيامي، أعشق الحب وأحلامه كخيال بلا ضـرر ولا ضرار، أحب اللعب بأوتاره وعزف نغماته لأزرع وردات القرنفل في قلوب من حولي، أهوى نقش الأبيض في نسيج ثوب الأيام الأسود، إيهـام غـيري بجدوى الحب لعلهم ينالوا ما منه حرمت.

ـ من هو هل أعرفه؟

ـ أوف.. هل أنتَ مريض بوسوسة قهرية لم تصر هكذا؟

كنت أمزح معكَ، اسمعـني بتعمـق لازال جـواب سـؤالك: لا أحـب ولست بحبيبة شخص ما قصة وانتهـت، أجيـد أحيانًـا تقمـص دور الحبيبـة بثبات وقناعه لأعيش في هدوء، أدعوا الله أن يرزقني يومًا فرحة عمـر ولمعـة عين وبسمة تغمر الكون بضحكاتي ولا شيء أخر في هذا الموضوع.

ـ حسنًا ما رأيك في، أنا الأقـرب لـك وأغلـب أحـداثنا معًـا متـشابهان كثيراً، ونحب تصميمَ المواقع ونجيدها بجدارَة متشابهان ولن نختلف كثيراً؟

ـ وسكرتيرتك "ندا" يا مهووس؟

ـ ها أنتِ قلتها سكرتيرتك مجرد إعجاب بموظفة عنـدي تبـدو كموديـل إعلانات.

ـ يا ظالم لقد وعدتها بالزواج، ثم هل يجب أن تكـون حبيبـا أو عـشيق أُهديه ألحان قلبي لتكون معي؟! لم لا تكُن؟ رفيق درب.. صديق حيـاة.. كُن ما تشاء لكن.. رفقًا لا تختر دور الحبيـب فقـد سـئمت كـل مـن يختـاره فأنت تبدو فاشلا في الحب يا صديقي والله مع مـن سـتحبك حقًـا فمـصيرها تشرد نفسي مثلي.

ـ أنتن زهور الحياة فلمَ تحرمن علينا الاستمتاع بالزهور؟

ـ اعتقد بأنكَ إذا استمرِت في الحديث هكذا خمس دقائق سنفقد صـداقتنا أيضا.

ـ لا داعٍ لهذا، لدى موعد مهم مع زهرة تعرفت عليهـا بـالأمس، هيـا سأوصلكِ في طريقي، هل يمكنكِ تغير عاداتكِ إذا عاد إليـكِ ثانيـة ومراعـاة ظروفه؟

ـ لا فأنا أحب الحياة والاسـتمتاع بهـا، هنـاك أنـواع مـن الحـب يكـون مصيرها الموت داخل القلب ولا مجال لها للإزهار خارجه وقصتي هكذا.

ـ من يستطيع فهمكن معشر النساء مجانين.

ـ اذهب يا عاقل يا أخ وابن العقلاء.

.

نداء القرب

جالسة على بحر تتلاطم أمواجه الصارخة كما طفلة وسط تشرُّد الأيام وبلطجتها، طفلة ضيَّعها الإهمال لتلد طفلًا مشوهًا تحتضنه رمال الشاطئ وتخفيه ظُلمة الشتاء، عاصفة أنفاس البحر بكل من يقترب من شاطئه الغاضب، جالسة هي في صمت بعينين تائهتين تبحثان عن قمر غاب.. لا يقلقها دوي تلك الليلة ولا أنها زرعت أعاصير وزوابع ونثرت في سمائها أبواق برق ورعد تصم الآذان، ما لها وكل هذا وما يحدث داخلها أشد وطأة كما لو كانت حروبًا صليبية تسعى إلى بيت المقدس معلنةً: حيَّ على الدماء، حيَّ على الفناء، حيَّ على المكر والدهاء، حيَّ على البشرية.. ولينَل المجد كل وضيع بلا شرف أو إيمان.

حجر رُمي على شاطئ البحر بثبات هي، تحدِّث طيفَ من كان يومًا مليكَها، لَّعله يهدئ العاصفة المبعثرة في كل ما فيها، أو يأخذ بيدها فيهدئ الداخل ويستمتع بهدير الدنيا وصخب الموج المنادي لها هلمِ فأحضاني لك ملجأ وأمان.. تهرب من نظراته وتبحث عن نظرات كانت حصنها وعندما تتجسد لها حدثته غاضبة:

أتعلم حبيبي لِمَ أنا عكسكَ كارهة للبحر؟! لأنه يا عمري أنتَ مليء بالأسرار يخدع مَن على الشاطئ مغمي.

أتعلم حبيبي لِمَ أنا عكسكَ قهرني غروب الشمس؟! لأنه يا قاهر فكري دماء أخذتك مني وتركتني وحيدة.

أتعلم حبيبي لمَ أنا عكسكَ أخاف الليل؟! لأنه يا معذبي سحبك وسط الأحلام ونسيتني في الواقع.

أتعلم حبيبي لِمَ أنا عكسكَ يُجنِّنُني القمر؟! لأنه يا عيني خطفكَ ويشاكسكَ بضوء نجومه لتهجرني.

لكنه أخرسها بجبروت بإجابته:

أتعلمين أنتِ؟ إليكِ كل ما أكتب يا سرّ حرفي.

ـ هل تتحدث؟ هل هذا أنت حقًا؟!

ـ لِمَ التعجب يا نبض روحي وأنفاسي؟!

ـ ظننتكَ وهمًا صنعه خيالي، هل أنتَ وهم؟!

ـ هل أنتِ حقيقة، أم أنا وهم، أم أنكِ تهربين من إجابتي؟

ـ لا أهرب.. قرأت كل ما كتبت عني وإليَّ، فلمحت طيف أخريات يسبحن بين بحور قافيتكَ، هيا عد واقرأ ما خطَّ قلمك لتشهد أنت بما يقنع قاضي العشق إذا تحاكمنا، هيا يا بحر اشهد، ها هو المجرم فلتكبله بذنبه وتأخذنا في جوفك لَّعله يكون بنا أرحم.

ـ اهدئي . . زفيري أنتِ ولا شهيق لي سواكِ .

ـ بل اصمت أنتَ واسمعني . . انظر بعين قلبك وعاين ملهمتك المزعومة بصدق عاشق وأخبرني كيف تعشقني !

ـ فعلت ! !

ـ حسنًا . . ماذا ترى؟

ـ أنتِ كل نسائي وكل أحلامي وحتى أسوأ كوابيسي .

ـ ملعون أنتَ، لست بالبيضاء الغيداء يا مدَّعي عشقي ! لست بالملونة الشعر ولا المستباحة الجيد للعيان ! لست بضّة الكف ولا حوراء العينين ! لست من تحتال على فؤادك، فلقد نلته ! لست المتلصصة على إشارات غنائكَ فأنتَ من ناداني ! لست ولست و . . . اسأل قلمك وراجع قلبك من ملهمه الشاعر الهمام المدعي عشقي وسط الأنام ! لست ملهمتكَ، فلِمَ لإلهامي ادَّعيت؟ !

أين ذهبت؟ هيا عُد . . تعالَ وحدِّثني، لا تغضب، هيا عُد وسأهدأ وسأدَّعي تصديقكَ كما أفعل دومًا، بالله عليكَ هيَّا عُد، يا بحر أعده إليَّ فلا فرح ولا ضحك في حياتي من دونه .

يا بحر أجبني، لا تهديني الصمت وتختفي كما اختفى هو . .

أتعلم أحببتك لأجله وكرهتك أيضًا لأجله، يا بحر لا حياة لي من دونه، هل هذا صوتك هل تريدني؟! أسمع هدير أمواجك ينادني.. هل حقًّا ستجمعني مع حبيبي؟!

ها أنا قادمة، سأنفض رمال الشاطئ عني وآتيكَ.. يا مرحًا بأحضان موجكَ يا بحر.. ها أنا آتية ملبية نداء القرب.

.

انتقام خارج النص

أشار المخرج للأبطال بالتجمع حسب المشهد على خشبة المسرح قبل أن تنتهي استراحة الخمس دقائق الفاصلة بين فصول المسرحية، الأبطال "أنس وتمارا" يقفان منتصف المسرح مسلط عليهما إضاءة خافته حمراء كي تجذب انتباه الجمهور، وفي الخلفية منظر لباقة ورد كبيرة أمامها كرسيان يقف أمامهما البطلان.

أما في ناحية اليمين مجموعة من الفتيات الجميلات ما بين قصيرة وطويلة بيضاء وسمراء شقية الملامح والهادئة يتألقن في فساتين سهرة براقة وبينهن ثلاثة محجبات إمعانًا في التنوع، يتحركن كيفما يتفق وكيفما شئن في حدود الدائرة المرسومة لهن على خشبة المسرح، موجهات أنظارهن للأبطال .

وفي ناحية اليسار مجموعة من العجائز يثرثرن فيما بينهن حول الجميع، رفع الستار ليظهر الجميع صفق الجمهور تحية للممثلين، انحني البطلان ثم بدء البطل الحديث:

ـ ذات عتمه أضئت أنتِ، لكم هو شهي أن يرزقك الله العوض ببذخ ذات حزن مشوه بالأنين، يا ربي كم أخشى تلوث فرحتي بكِ يا من زين ثغري بكريز دعوات طيبة وفريز البسمات.

ـ بعد ماذا تعترف بحبك بعد أن جاءت كل هؤلاء مبايعات على عشقك أمامي، كيف تهزأ بحبي وتنثره رماد على الأرض بعد أن ظننت أنني أقحوانه

حياتك الوحيدة لأفاجأ ليلة عرسي بالوصيفات متمردات عليَّ معلنات عشقك والتضحية بعمري.

ـ حبيبتي في الاختلاف حياة للمحبين، ليتك للسر تدرين ولكنك كالجميع غافل عن هذا هن محطات أوصلتني لقلبك الحنون، وقود حربي ضد الوجود للوصول إليكِ.

ـ الحب ليس بحرب لكنكَ وفراشاتكَ حولتموه حرب عصابات فاشية فسرقتم بهجتي وبراءة فرحتي، وعلى دربكَ فجعت قلوب البجعات منكَ عشقا، رسمتكَ موجا فتراقصت الحوريات متغنيات بزبد عشقكَ الفياض، ستذهب أنتَ وتبقى فراشاتك تحمن من حولي، يطاردن دربي ليعثن الفساد في حياتي ويبعدنك عني.

ليتصاعد فجأة صوت جموع الفتيات: "تمارا" اسمعينا من قال الحب قرب ونعيم، الحب نعيمه شقاء الغرق في بحر لذة الاشتياق دون وصل أو لقاء، من قال الحب بأكمله أو في مجلة سعادة؛ الحب في الأغلب وجع ورم خبيث أحتل القلب ليُضخ مع الدم يفتت أحشائك وينهك جسدك ليترهل في عزه مع أنكَ تبدو للكل في أكمل وأبهى مظهر، من قال أن العشق مراعي غناء وكروم عنب مُحتله للدروب، العشق بيداء مقفرة يحولها جنه؛ معشوق عاشق، ظروف سانحة، أهل وخلان ملائكة؛ للحب يفيضون العطاء بلا جدب بسمات، أو قفر ترحاب أو سوء عتب، أوهام بنت عم

أحلام يتمناها كل العشاق، ونحن عشقناه مثلكِ ولنا فيه نصيب يا حسناء فاقبلي منا الصفقة كاملة أو ارحلي ودعيه لنا بودٍ وترحاب.

ـ لكنه أحبني أنا، عشقني أنا هيا اخبرهم يا أنس، يا ناهشات الفرحة هو اختارني ملكني قلبه واليوم عرسي يا حيزبونات الشؤم.

ـ نعم هكذا أجيبهن فأنا لكِ وأنتِ لي يا ضياء القلب، دعي الماضي فقد مر وفات ولنا الآن الحاضر معًا.

ـ ابتعد عني أكرهكَ رغم أنني لوصلك أموت وأشتهي، هن كن حاضرا لا ماضٍ فلا تخادع، لكن لا تثريب عليكَ ولا ملام يا هذا فأنا مُدركة جدا بأني البادئةً بالخطأ يوم فتحت باب ونوافذ القلب على مصراعيهما ونصبت داخله مسرحاً للعرائس.

سبحت بتؤدة بإرادتكَ حتى نفذت إلى جوف محارة، نهلت مسكا وعنبرا ثم رحلت بتصميم، لا يثني عزمكَ شهد ينادي؛ ولا يمهلكَ كم خلفكَ بلغت الضحايا.

ـ أنا راهب وهن مريدات في محراب عشقي أدعوهن، جئن معلنات أنهن من أولياء الله الصالحات يخشعن خشوع المؤمنات بنبي ظهر في عصر أظلم رجاله شرفاتهم ويا له من فتح مبين كيف تريدين مني صدهن وفي الأصل لا يوجد في القلب سواكِ،

تنسل فتاة صافية الملامح باسمة تتراقص في مشيتها وتقترب بود تجمع يد البطلان معًا وتحاول إصلاح الأمر قائلة :

هيا يا حبيبة قلبي نعم أحببته أنا ونافستك في حبه وهن أحببنه معنا لكنه عشقك أنت، حاولت إرضاءه كثيراً منحته عمري ليلي قبل نهاري لكنه أبعدني، أنسى لم يتمنى إلا أن يسكنك أنت، لم يختار سواك، فامنحيه صفحك فهو دونك ضائع طفل بلا أم، قمر يبحث عن نجمته، ساهر وسط ليل كئيب بخصامك.

هل يعجبكَ هذا حتى "زينه" غاضبة، عاشقتك المتتبعة لك في كل مكان تشاكسني لغضبي تدعي عشقي ومحبتي الزائدة، يا الله هل تدرين يا أيتها الحانقة من غضبي عليك لمَ صرعتني فعلتك؟، لأنك لم تسلبيني حبيب لأبكيه؛ ولا عاشق لأرثيه، بل تركتني جسدا بلا حبل شوكي، رميتني للجحيم ليلتهم جناحاي، لأجل هوسك وهوسهن بيدي نفضت وجودكم عني عل أتنفس من جديد، وليت الأمر يجدي أيتها الناقمة؟، كان لديكِن كُل الدنيا وكُنت لا أملك ألاه.. أتستوعبن الفرق؟!

متباكية وبكلمات حزينة قالت زينه :

ـ وهل على القلب لوم وعتاب ماذا افعل وقد اختار قلبي هواه؟ عشقتك كما عشقته، تمنيت سعادتك وهنائك معه، لم أحاول تفريقكما ودوما أدعو لكما بالعودة لوطنكم الأول حبيبان، وأن يكون ليّ نصيب منه

معك، سأذهب كي لا تغضبي أكثر وتخطئين أكثر لكن تـذكري أنـني أتمـني لكِ ولَه السعادة، سيظل صديقي الأقرب حتى وأن تزوج غيري أو غيركِ

أجابت "تمارا" بنفاذ صبر وغضب واضح

ـ أجدت الفعل ولهذا لم يقدر القدر على تفريقنـا إلا بأفعالـك وحبـك هذا، سعيد أَنت طبعا بكل هذا، حبيبي الظالم ذو الطبع واللحـظ الَـبريء، عشقتنا وجمعت قلوبنا كما صائد الأدغـال في عقـد زيـن حـشائش صـدره، تسكعت بين قلوبنا حبيبنا، كما شريد يطمح للطيران متـنقلا عـبر سمـوات أرواحنا الرحبة، تفاخرت بنا كما قرصان زين صدره بقلوب الحـسان وشـق البحار محطمًا القوانين والقيود متحررًا من الحياة بالحياة، شاعر هوى التـزين بكلماتنا العاشقة لإلهامه، وكما راهب تنفست ألامنا.. حنينا.. شوقنا.. جنوننا.. هـذياننا عنـك وفيـك بمجـون، مـشعوذ أنـتَ تحيـى الحيـاة كمـا إمبراطور كي تقص مغامراتك عبر الأجيال، فيلـسوف وإنـسان أجـاد أسـر مشاعرنا برغبة وود لنحبس بأقفاص عشقكَ بلا جدال جميعنـا، يـا للـسماء يُحبنا معًا يا لمفارقات الحب وأفعاله.

ـ توقفي واسمعيني.

ـ . . .

تركت "تمارا" خشبة المسرح تاركه الحفل لتنزل الستارة منهية المسرحية بفشل حفل الزفاف.

.

المخرج: جئت أهنئك على نجاح المسرحية أجدت دور "تمارا" أظهرت حبها بطريقة جميلة وبارعة، وعند الفراق كان الكبرياء والثقة عنوانها، "عمرو" أيضا أجاد دور "أنس" أخبرتني مساعدتك أنكما ستحددان موعد الزفاف قريبًا لا تنسي دعوتِ وإلا غضبت عليكِ وعليه ولن اسند لكما ادوار ثانية.

ـ لن ننسى والفضل في النجاح يعود إلى نصحك وإرشادك ودعمك لنا.

ـ هل ستحضرون حفل الليلة للاحتفال بانتهاء العرض؟

ـ سيأتي "عمرو" بعد قليل وسنلحق بكم.

ـ جميل إلى الملتقى إذن.

ـ إلى الملتقى.. زينب هل انتهيتِ من تجميع احتياجاتي؟

ـ كل شيء مرتب في مكانه، وسأذهب الآن لأرتبهم في دولاب شقتكِ.. سأرى من الطارق.

ـ أستاذ "عمرو" يخبركِ أنه سيسبقكِ إلى السيارة وألا تتأخري عليه.

.

خرجت "علياء" مع "زينب" تسير بدلال لتفاجأ "بعمرو" وسط ممثلات الصف الثاني والثالث يضحك ويتبادلون المزح بالأيدي، اقتربت بهدوء ووقفت خلفه تمامًا ثم همست في أذنه:

هيا يا دنجوان علينا الانصراف، ثم بصوت عالٍ ضاحكة هيا يا بنات سلام نراكم قريبًا في الحفل، موااه قبلاتٍ لجميعكن.

ـ يبدو أن مزاجكِ يناطح السحاب، أول مرة تمزحين معهن هكذا.

ـ اسمعني جيدًا كما صلاتك بوتر واحد أنا وتر حياتكَ جبرًا ومحبة تَصلني لتنال بركات، وإياكَ أن أراكَ تمزح هكذا ثانية مع باقي الزميلات وخاصة من هن أدنى مني مكانة، لم لا تحافظ على صورتِي؟ كما أحافظ أنا على صورتك مع الجميع.

ـ تعلمين أن حياتي ليست بالبسيطة وعلّي مجاملة الجميع، ثم أنتِ فرحتي الوحيدة لا يمكنني أغاضبك.

ـ قلبي يوجعني عليكَ لكنه يوجعني عليَّ أكثر وأكثر، لا يمكنني الحياة هكذا.

ـ ماذا أفعل وحياتي هكذا مليئة بالنساء والفتيات لم أخنكِ ولم أتقرب منهن فطبيعة شخصيتي هي ما تفرض عليَّ كل هذا؟ كما لا يمكنني التعامل مع إحداهن بقسوة هكذا رباني والدي.

ـ ونعم التربية، تعلم أنني مجنونه وأنتَ أناني، مجنونه لأنني.. أُحبك وأجن ما فيَّ يقُل يا فتاة هو يُحبكِ أيضًا، لكنني أخاف العسل المدسوس في السم، هو أسلوب الأغلب صار يتبعه في الحديث وكأنما هم ذوي الألباب وأنا المخبولة، لذا فالخوف أمان والحرص واجب في هذا الزمان وأنا خائفة منك بشدة أتوقع وأتخيل خيانتك لي في أي لحظة مع أية فتاة ممن حولك.

ـ وهل هذا ذنبي هل اترك عملي وأعيش في أحضانك لتهدأ شكوكك حولي؟ ماذا أفعل لأعيد بسمتكِ ؟وسأفعل نحن ذاهبان إلَى حفل مهم فلاَ تفعلي بنا هذا.

ـ اعلم أن تركك العمل ليس بحل، لكن أيمكنك أن تُنسيني كل ما قد كان في حياتي؟!، أيمكنك إعادة الابتسامة لشفاهي التواقة لتقبيلك الآن؟!، الضحكة لنبضي والحنان لقلبي الغاضب بسبب كل ما رآه سابقًا؟! الرقة لنظراتي والتلقائية إلى تصرفاتي بعد أن تعلمت التصنع باحتراف؟!، أيمكنك إعادتي للحياة بعد أن فني الجسد وصعدت الروح للسماء ولم يبقَ فيَّ غير مسخ يبتسم للجميع؟! من علي أرجوحة الحياة سقط الحب مضرجًا بدمائه فقتلت معه ولكنك وعدتني أن تعيد إحيائي لكن كيف بأسلوبك هذا؟!.

ـ يمكنني .

ـ أحقًا ما تقول . . يمكنك . . . لا أصدقك ، أنتَ تمارس ألاعيبك ، تدعوني وغيري لتلاعبنا ، تشاكس . . تتمرد . . تثور وتفارقنا ؛ ثم تعود لتعزف على وتر حنين وأنين ؛ كي تُعيد وصل شعرة معاوية ، رأيتك تفعل هذا مع كل حبيباتك السابقات ، تسحر أعين وألباب من بك فُتن وفي هواك يهرعن ملبين ، تتعامل معهن ومعي على أننا الحريم وأنتَ السلطان ، حريم حُرمن الوليف وأنتَ سلطان حرم العرش ، تقابلت معهن فاجتمعتم في دهاليز قصور العشق على أمل وهم بالغرام . .

أتذكر يوم ضبطتك في أحضان بطلة فيلمك السابق " سهر " ضيعتني يوم استسلمت للغدر بالأحضان والقبل معها وغيرها ، كلهن أردنكَ على الرغبة الأولى لزليخه ، كما أشقائهم أرادوني على عهد قابيل ، تغلبنا على كل هذا أنت وأنا وتلاقينا على عهد أدم وحواء قبل وسوسة الحية وإبليس اللعين ، امتزجنا في عقد نور يمنح أمن وأمان للمحبين ، لم أوصك إلا بصغيرة عهد بالحب ، لمَ عني تجاوزت وتشاغلت؟ وأنا جزء منك وإليك بإغراء حنانك سأبوح بفيض غرام .

ـ لماذا لم تسألي نفسك لماذا فعلت كُل هذا وأنا من ينظم حلو الكلام مُعبراً عن براءتكِ وكبريائكِ ، متشهداً في ختام محادثتكِ دوما بشهد

الدعوات؟! لماذا لمْ تسألي لمَ تركتهن جميعهن وعدت إليكِ؟ دومًا اختاركِ أنتِ وأعود دائما أعود "علياء.

ـ حسب مخزون خبراتي، لأنك توقعت أنك كما تلاعبني بالألفاظ ألاعبك، وكما تتنقل بين الأزهار أتنقل، وللعجبَ حبيبي تعلو وجهك الدهشةَ الآن لأنني أخبرك بهذا، تذكر يوم أخبرتك عمن يحاولوا التقرب مني، كنت أفضفض معكَ لارتاح من ضغوطي النفسية لكنك وقتها ظننتني أثير غيرتكَ أعجبني منظرك بعدها عندما اكتشفت أنني كُنت حقًا ما أدعي وأنكَ خُدعت بسوء ظنك عما أمثله، جُل ما رغبت فيه أن أكون فقط قطعة منك، شهقة يتبعها زفير للنفس يُحييك، نبضه ضغط تُطيب صحتك، نبرة صوت تُهدئ قلبك، حكمة على لسان تُقنع عقلكَ فهل هذا كثير؟! لكنك للأسف لم تصدقني، يوم تبنيتك استحلفتك الله ألا تَفجعني فيكَ فلمَ كفنتكَ بدموعي لتُزرع في الروح صبر وصبار وتنغص حياتي بأفعالك هذا دائما.

ـ كان القلب معذب بين عشق لا يذوى وسوء ظن لا ينتهي، لم تكوني وقت عرفتك الوحيدة المجروحة خانتني حبيبتي وقتها أيضا، كنت اقُل لنفسي كما فَعَلت أنتَ، وفعل غيري.. فعلت أنت، كُنت الوحيدة التي رفضتني وصدتني، ورغم ما زُرع وحُصد بيننا بمرورِ الأيام وما تلاها من ليال وليال ورغم أننا اقتربنا، إلا أن كلانا لم ينسَ الأمر، وكثيرًا ما تذكرينني أنكِ في البدء لم ترتاحي لشخصي.

ـ في البدء خفتك فقربتني، ابتعدت عنك فأمنتني، عشقتك فضيعتني، راهنت عليك فخيبتني، ترجيتك فأضعفتني، وفي النهاية لهن تركتني بعدما أبكيتني، حزين أهديتكَ ضحكة فأهديتني جرح عميق كسر الخاطر، وبكاء صامت لثبوت صحة سوء ظن قبيح بأنك تلعب بي.

ـ لم إذن لازلتِ معي للآن، أتنتظرين حتى حفل الزفاف كي تفعلي كما فعلت "تمارا" عندما اختارت ترك "أنس"؟، إن كُنت مت بداخلك لمت داخلي لكنك رمزي وعنواني ولازلنا بالنبض مشتركان رَغم المسافاتَ، في البداية كنت أَحبك أحيانا وأكرهك أحيانا أكثر لغيرتك هذه لكن بينهما أموت قهراً لتعارض عالمينا، معكِ لم استسلم وضممتَ عالمينا معًا، هيا امنحيني شغف الحب واهتمامَ العشق لساعات ثم لانتحر إذا كنتِ ستودعينني، سأتناول سم الريسين لينهي المشهد وأنا بين أحضانك عاشقَ متيم بمعشوقة.

ـ اعتقد أن مسرحيتنا الغنائية أثرت فينا، نتحدث بشاعرية كما "روميو وجوليت"، أتعلم تتعارك أنثاي مع إنسانيتي بسببك؛ تنسى أنهما نزيلا جسد وروح امرأة.. ممتلئة بالخذلان منك ومن نفسي لأنها غالبًا وكرامه لعينيك بحمق وغباء تطمر إنسانيتي، يا غافل مرآة الحب عمياء والغيرة أشد عمى، وأنتَ أثرت غيرتي وبكل بساطة تدعي أنك لا تريد إلا رؤيتي ابتسم وقلبي فرح كيف تتركنِي للظنون تتكاثر بروحي وعلى عمري عقد الحزن قرانه إذن؟!.

ـ لم لا تستوعبين ما بيننا مجرد عمل لا شأن لي بـأنهن يـرون الأمـر غـير ذلك المهم ماذا افعل أنا وماذا أقُل .

ـ تتقرب منهن أم تظنني مغفلة ، ألا تعلم أن مـن يـصعد علـى أكتـافهن يسقط خنقًا بحبالهن ، ألم تفكر في هذا وأنتَ تـستغلهن لتحقيـق حلمـك؟ ، صدق من قال " هناك بشر في النهاية يجعلونك تكفر بنفسك قبل الآخرين " .

ـ لم الحياة قاسية والراحة فيها مؤقتة؟ اسـتثناء جميـل يـشوبه الحـذر مـن قنبلة على وشك الانفجار . . مثل صديق قرر الخيانة . . أو قـد يكـون خـبر عن حبيب اتخذ طريق الخذلان . . أو ربما موقف أهل رأوا فيـك الـضعف لا الطموح .

ـ الآن ترمي أخطائك على كاهل الآخرين؟

ـ لا أفعل ولكن أنا خلقت لأجلكَ فكيف يأخذني غيرك؟ ! مجنونه أنـت حبيبتي ، تناسى وحاولي أن تغفري علك تعفـي عمـا نالـكَ فيـصيبك خـير أكثر ، فرح أعمق ، رزق أكبر .

ـ ليتكَ بقيت كما أنتَ ملاكِ الساهر .

ـ ومن أنا الآن بنظرك؟ !

* . *

ـ ما أقساه شعور سن الستين وأنت لازلت شاب في نظر الكل كيف ستصرخ قائلا يكفي لقد تعبت، تعبت من المحاربة لنيل أي شيء أريده، أتذكرين يوم أخبرتك والدتي لا توافق عليك تراك مغرورة قلت وقتها "حقها عليك تقبيل قدميها وتنفيذ رغبتها، وحقي عليك أن تترهبن" وها أنا راهب في محراب عينيك متبتل.

ـ واضح طبعا.. لن أرد عليكَ.

ـ لا تملكين ردا.

ـ صرخت بتفاخر سابقًا لأجلكِ سأحارب... ومر الوقت فتعللت بـ.. انكسار السيف.

ـ إذن من يجهز لحفل زفافه عليكِ الآن.

ـ أتمنى أن أصير يومًا اختيار أول في حياة شخص ما، شخص هو الاختيار الأول والأخير في حياتي، أتمنى وعلى سبيل التغير ألا أكون اختيار أخير أو ثالث أو حتى ثان، أتمنى ألا أكون أول شخص يُضحى به على سبيل الفرحة على اقل تقدير، فهل هذا كثير على؟!، الحياة جد مُرهقه.

ـ أنت اختياري الأول والأخير، لن أضحي بك كوني واثقة من هذا، فبكِ تكتملَ حروف اللغة المبتورة وتفيض حروف العلة حب وغناء.

ـ أنت احتجت ضعفي لتقوى، وأنا احتجت أمانك لأبقى، قتل قابيل هابيل ويا لرخص السبب.

ـ كنتن انتن السبب لمعلوماتكِ؟

ـ وأين عقلكم يا ذكي؟

ـ طالما المزمار يئن صبراً ستظل الطبلة تدق ثملة لكل من يرقص على أوتار الوجع مُزايداً فنحن بشر متفاخرون برخصنا، متفانون في أداء دور السقا للجبارين والفراعين؛ ولا عزاء لمن تُسفح دماؤه هدراً، كلنا نعيش نفس الوجع تختلف اللهجات والبلاد والمعالم وتتشابه المواقف والأحداث لنطحن جميعا بنفس الرحى وينثرنا ذات الهواء الرابط بين كل هذه المختلفات المتشتتات، ويهل أمل فنستجدي به لعله يريح أرواحنا التعبة من حروب الحياة الضروس وكنتِ أنتِ ولازلتِ أملي في غد أفضل.

ـ إذن لمَ معي البكاء والانتحاب والاكتئاب؟ ومعهن تتناول الضحك ببهجة، وتشتهي اللمس بكلمات آسرة تُقبلهن همسًا كل لحظة، وتزيد التجويد باختفاء محسوب يزيد ويزيد مُقبلات الاحتضان والغزل.

ـ هههههه خيالك دومًا سارح في ملكوت ظنونك السوداء هذه، لماذا افعل أيًا من هذه الأشياء، أتعلمين بعدكِ سأحطم قلوبهن دون ندم؟.

ـ لذا فرشت في طريقك مبتعداً الأرض بأشلاء روحي كي لا ينالها غيركَ، كُنت أبحث عن النجاة فيكَ وتبحث عن النجاة في ويا لقسوة عشقكَ المستبد هذا، تشعرني كما لو كنت كرة قدم في مباراة نهائية يحكمها حكم أعمي.

ـ لا افهم لمَ تغارين وكل ما أخط وأفعل منكِ وإليكِ يا لوعة قلبي؟، ولم تغضبي ومزحي وكلماتي عنكِ وإليكِ يا نبضَ القلبَ.

ـ الحب صدق يلمسه من ذاب فيه ولن تفهمني لان حبك ذكوري، أتعلم أسوء ما أعانية إعادة بناء ذكريات خالية منك فكل الأماكن أنتَ، وكل الأحداث أنتَ، والحاضر والمستقبل ما هو إلا أنتَ، أتعلم ما المؤلم حد الهذيان؟، أن تشعر أنكَ قطعة شطرنج تُستبدل بيد حبيب قرر التجديف في رحلة نسيان.

ـ لا تفعلي هكذا معي، لا تحرميني حماية احتوائك، لا أريد الانطلاق في دروب الحياة للبحث عن أمني فتهديني الحياة جراح وموت مادي ومعنوي، لا أريد الهرب للاختباء في أحضان الحب لعله يزرع في الأمان فيسرق براءتي ويتركني بين براثن غربة وطن تزرع في القهر، لا أريد استجداء واقتفاء أثر الإنسانية وإن كانت زيف، لا أريد اعتبارها مسكن يداوي إدمان فَقد احتل كياني، لا تتركيني لهذه المشاعر.

ـ سنه الحياة كنت وأنتَ معًا ومع الأيام أنتَ وغيري معًا وبعد غد غيري . . وغيرك . . فالأيام دول وهذا حال الدُنيا للبشر والدول، على أرض المظالم ساد الهوان وفي انتظار العدل تبدل في النفوس الهوى، مات الشغف وضاع أثر الحياة والأحبة ليبقى الفراغ مسيطرًا كاسحًا الإنسانية خارج إطار الزمن، لكن يومًا سيتفتح زهر زئبق الحق، لتنبت صحوة تطهر دناءة وخسة لوثت براءة الأجنة، وتبني مستقبل مفعم بأمل يحتضنه الأمان.

ـ تفاؤلك في حب حبيبك صدقه تفاءلي بي.

ـ للأسف أبكيتني لأيام.

ـ لكنني أسعدت عمرك التعس لسنين.

ـ ولكن لازال جرحك ينبض بالأنين، ما يفيدك معي فقط أن الروح تميل إليكَ متأملة الله الكريم.

ـ أتمنى لو اعلم من قال أن علينا المحاربة لتحقيق حلم أو هدف لم لا نحصل عليه ببساطة، لم ابسط احتياجاتنا تحتاج لحرب التملك؟!، لما لا يدرك من حولنا أن تلك الحروب تفقدنا لذة وشغف الأشياء؟!، تسلب منا أجزاء متتابعة من إنسانيتا . . جزء متتالي من أدميتنا . . جزء من نقائنا . . صفائنا . . مشاعرنا . . حبنا . . وحتى عشقنا؟!، لم على كل شيء وأي

شيء أن يكون مرهقًا . . موجعًا . . مؤلمًا هكذا؟! متى سنحصد راحة بال وسط هذا الكم من الزيف والتناقض المُعاش؟!

ـ الآن وبكل ضمير ويقين ثابت لا يتزعزع أدعو الله بإخلاص أن يرزقك بعمل كثير كي لا ترفع رأسك إلا لتنام وتلقاني في الأحلام، وكي لا تجد وقت لمغازلة غيري.

ـ أتذكرين بداياتنا يوم قلت لك يا حمقاء سيدركون حبي وحبكِ وسيخفونني عن عينيكِ، كالعادة حمقاء . . حبيبتي الحمقاء تثيرين الجلبة.

ـ أجبتك يومها عن عيني سيخفونك لكن في قلبي وروحي سأصونك، يفزعون لحُبنا حسنا هوَ بالجسد ملك لكم ويكفيني منه الروح والأمل، كانت كل دقه تدق في قلبي يسمعها من يجاورك أنتَ، سألتك أنت أسد حياتي فأقطع اتصال الروح بيننا فقد يهنئوا.

ـ أجبتكِ بثقة هل تؤمنين ببقائي دونكِ على قيد الحياة؟

ـ أتعلم حاولت وقتها أن اسكن بعيداً داخل قلبك وسط أضواء أحلام الخيال لأريحهم لكنك أظهرتني للنور فأعموني.

ـ تدركين أنني لم أسع إليك ولم تسعى إلى، بل أرسلنا الله لنُكمل بعضنا، كنا في احتياج متبادل، كنا كما شقي الرحى، بدرا معًا يكتمل،

انطلقنا في عالم من خيال، رسمنا دربا ياقوتي نخطو على حبات زبرجده، واكتمل القمر مرات ومرات حتى سقط نيزك الوداع حارقًا القلب بلا أمل في الشفاء.

ـ أنتَ بطل الحب بالكلمات، وأنا سئمت الأبطال والكلمات، كل ما اشتهيه رجل يحتوي العمر ويمنح الأمان بلا غدر، لا أريد منتقم هاوٍ للتردي على سفوح الخيانة، وحقن الروح بالحقد، وزرع الغل في القلب الجريح، لم أحتفظ بـ نَبِت أفسده زارعه؟!

بأقحوان تعفن ومنه القلب أُصيب؟! ولم السخرية من غباء قلب والروح أشد حمقًا بتدلهها في عشق مقهور؟! يا الله أنتَ اعتدت خيانتي وأنا أدمنت فيك السقوط.

ـ لمَ تُشاغبين ولا تكفين عن عنادكِ هذا؟!

ـ لأنكَ تحبني مشاغبة، كثيراً ما كنت أصرخ أستجدي الفهم فلا تبالي وكأني غيم بعد قليل سينجلي، ليس معنى أني أفهمكَ وبنبض قلبك أشعر على بعد أميال وأميال أن تغني الصمت موال صوفي الألحان، قد خلق الله الكون في ستة أيام لينعم آدم ومع هذا اشتاق لحواء، حواء واحدة.

ـ وأنتِ حواءِ الوحيدة.

ـ غضبي المدفون حررته، ذنبي في هواك جلدته، واليوم صرت حرة، لذا سأعود لسلطاني، وعلى قلوب عشاقي سأمارس بعنف استبدادي، وسأنساك، قدم شكري لمن سوف تليني فستثبتِ زيف ما كان وتجعلني أفيق من أوهامي .

ـ ستنتقمين مني فيهم .

ـ نعم .

ـ تعلمين ليست الدنيا بالسيئة ولكنها عقولنا، الحياة سراب براق أكاذيبه نجوم وكواكب وبلطف الله فقط تنجو من فك دهاليز وخداع يملؤها، اعلمي جيداً الحب ارتباط روح قبل ارتباط يوثقه قاض شرعي، وأنا مرتبط بكِ من قبل ميلادي، يقولون على قدر نياتكم ترزقون . . . أستغفر الله لم أكنَ أدري أن نيتي بهذا السوء حسبي ربي فيّ كنت سبب جراحكِ، دعيني الآن كي اذهب وانتحر .

ـ "عمرو" القاع مزدحم بمدعي الرقي ومع ذلك لازال يغري المزيد ممن يحاولون ادعاء الرقي ومع ذلك يريدون إبعادنا، ألا هنيئًا لكم عذلي قد تم مرادكم وحافظ على ودكم من كان لعهدنا أحفظ .

ـ هل تتركيني لانتحر إذن؟

ـ لا .

ـ من شروط الإسلام : الإيمان بالقدر خيره وشره لذا رضيت برغبتي أم عنوةً صدقًا ما عاد يهم هو واقع سيعاش كما تريدين سأبتعد علكِ ترتاحين .

ـ أتعلم المحيطون بي يتوقعون أنك خائن غادر لأنك فارقتني ، يعتبون عليّ حبي من تجاهل داري ودربي وفضل هجري ، لا يعلمون بأنني أدعو باكية كل ليلة بأن يغفر الله ذنوبي ويتوب عليَّ لأنني قد أغادر ملاك الأمين ، أعشقكَ يا من جعلتني أحبني ، كثيرون يحبونكَ ويتعاملون معكَ كَمُعلم ثقة فلا تخذلهم بِعُقَدَك وتنفرهم من أنفسهم أو سوء أفعالك .

ـ لم تفعلين معي هكذا؟ لم تعذبينني ؟ !

ـ لأنني أنا تلك الفرعونه ، فتاة حالمة وامرأة في الحب مجنونه ، أنا تلك البعيدة القريبة ، المالكة للبك حبيبي وعن أرضك بعيدة ، البعيدة عن عينيك ومتملكة لعين العقل والقلب ومنك جدًا قريبة ، من قال أني قنوعة؟ ! ! ، أنا أنانية جدًا ، مُتملكة وحريصة حد البُخل ، شهوانية جدًا جدًا . .

أُريدكَ كُلكَ ملك ليّ تملكني وأملكَك دون شريك أو منازع ينافسني ، فأنا خاضعة بتمرد ، ساكنه بثورة ، خاشعة بمجون ، فقط في حصن هواك المجنون ، ما أقسى أيامي ورائحتك تسجنني داخل ذراتها ، أثور عليكَ

فتنقلب علىّ، أتمرد بجموح فتجتاح ديمقراطيتي المزعومة بديكتاتورية قوانينك العتيقة، فلا تحلو ثورتي دون انقلابك عليها ولا يزين انقلابكَ إلا ثورتي.

ـ أتعلمي الجميع لاحظ كيمياءنا وبني الافتراضات بانجذاب قطبينا ومنها وصل لنتائج تقاربنا إلا أنتِ.

ـ هل تتذكر مزحكَ مع الجسد الهزيل لتُضحك البحر والسحاب فعاندك وزاد حتى الستين، هل تتذكر أحمر شفاه الأيس كريم؟! هل تتذكر ذاك القلب المحفور باسمينا في قلب الطبيعة؟! بالطبع لا فلقد ماتت الذكرى مع الحنين.

ـ لا أنسى ذكرياتنا معا أو أي شيء يخصك، أشرقت شمس الدنيا بعد صبر ليل طويل يوم ترضين عني، شمسك ساطعة في القلب تدفئه منذ أمس بعيد وستظل حتى غد أبعد، أحببتكِ فاقد البصر وعشقتني أنتِ مودة وسكن معًا نحن بصر وبصيرة.

ـ سأرقص لتخلخل أجراس قدميّ على رمال الهجر المتوقع، ستداعب أذني سيمفونية قسوة غجرية، ويحرك خصري هدير البحر ونزيف في القلب لا يتوقف، سأفعل أي شيء لنكون معًا، لن ادعهم يفرقوننا.

ـ أعشقك

ـ هيا لننطلق الحفل بدء منذ ساعة يا نجم .

* . *

ـ "عمرو" لا أصدق نفسي ستكون البطل معي في الفيلم الجديد، مفاجأة جميلة .

ـ أنا أيضا لا أصدق مفاجأة غير متوقعه .

ـ مر ثلاثة أعوام منذ أخر لقاء لنا .

ـ ما أخبارك هل تزوجتِ بعد طلاقكِ الثالث؟

ـ لا تكن غليظ هكذا، تعلم أنني لا أعشق غيركَ، لذا لا استطيع الاستمرار في أية زيجة .

ـ وما هو العشق بتفسيرك؟ !

ـ العشق نظره شقية واثقة مستقرة وأنت سكنت نظرتي وأسكنتني نظرتكَ .

ـ أهذا هو العشق؟

إذن لم شاهدتك بعيني تُقبلين أخر بعد ليلة صاخبة من العتاب لأنني امزح مع فتيات غيركِ؟!

ـ هو من فعل، ألم تخبرني دومًا أن الحياة محطات تعلم جيدًا أنكَ أبدية دينونتي وكل محطاتِ، بدليل أنني لازلت في انتظارك، متى ينتهي الغياب ونلتقي؟

ـ لقد تزوجت ألا تعرفين هذا؟!

ـ أعرف وليتكَ تتعثر في عتبتك الجديدة فتسقط وتكسر ساقك كي تتعلم غض النظر وتبدل عتبتك وتعود إليَّ وننتهي معًا.

ـ لم أرمِ بنفسي بين أحضان أي شخص لأنتقم منكِ، أحبها وهي لا ترى غيري، لا تغار لمجرد الغيرة، لا يتفتق ذهنها كل خَمس دقائق على سبب لاختلاق أزمة جبارة تدعو لخصام يصل للشهر، لذا لا توجد فرصة كي أعود إليكِ.

ـ لقد تعلمت درسي جيدًا، ولن أفعل ما يضايقك مني ثانية، طال الانتظار، واشتعل الصبر ضجرًا، احتل المشيب هامة الشوق، لينزف الأمل أخر نبضاته على عتبات الموت متوسلًا بلا رفاهية قبول موته..

ها هو قد انتشر الفتور متملكًا العمر تاركًا غصة في الحلق من مرارة تفشت في السنين ، فامنحني قُبلة تنسيني العمر والأيام الماضية، تضيع من أمام ناظري صورة الأهل والخلان، تُثبتك واقعًا بين تجاويف كياني من جديد قُبلة ننسى فيها الدنيا والآخرة كما وليد في أحضان أمه غفي بلا تثريب.

ـ المعايشة كثيرًا تثبت أن الحب الأول كان أجوف، وعلى الزوجة حمل كبير لتصريف أمور الحياة والانتقال بمركب العائلة لبر الأمان والحفاظ عليه في هذا البر لأطول فترة، و"دينا" زوجتي أثبتت جدارتها في الحفاظ عليَّ وعلى مستقبلي وحياتي وتطوري وانطلاقي لمراحل عليا في عملي، تمنحني كل سبل الراحة والأمان، لذا عفوًا لا أمل لك معي لقد انتهي كل ما بيننا.

ـ فقط امنحني فرصة أخيرة.

ـ ابلغي المخرج أنني اعتذر عن الدور فلدي أجازة خاصة مع زوجتي الجميلة وتوأمي "على" و"لينا".

.

ـ جهزت مستلزمات المشهد التالي بدلي ملابسكِ الآن؟ .

ـ لا مزاج لدي للعمل، اذهبي واخبريهم أنني تعبت فجأة ولن استطيع القيام بمشاهد اليوم .

ـ رأيت أستاذ " عمرو" يخرج من قليل هل أغضبك؟

هل أساء لكِ بالكلام؟

ـ لا

ـ هل تحدثتما وتصالحتما؟

ـ رفض العودة، كيف فعلها لقد كان يخونني ويعود ليجدني في انتظاره، يعيرني بمشاهدتي أقبل غيره فعلت كما فعل هو كنت أنتقم منه، لكنه لا يصدقني، لم هو غاضب هكذا لازلت لا افهم عاقبني لسنتين وتزوج غيري وعاش حياته وتركني للحقد يعشش في روحي، لكن يومًا سأنتقم منه وأفسد حياته كما أفسدني وافسد حياتي، يومًا سأنتقم منه .

ـ بالعكس هو يصدق أنكِ أردتي الانتقام منه لذا سعيتِ كي يراكِ مع غيره، لم تتخيلي انه سيغضبَ هكذا، ظننت انه سيأتي كي يعاتبك لكنه لم يفعل، "علياء" هو خائف منكِ وذهب بعيدًا ولا زال يخاف منكِ لذا لن

يقترب يعلم جيداً أن غضبك سيئ لا يوجد رجل يقبل أن تنتقم منـه حبيبتـه كما فعلتِ .

ـ لن يفلت مني سأظل أراقبه وأترقبه .

* . *

نجم في السماء

صباح مشرق، جهزت الأم مائدة إفطار شهية بيض عيون وأخر مخفوق، مربي نوعان فالابنة الكبرى تعشق مربي الفراولة والأخرى تذوب في مربي المشمش، فول وطعمية لزوم البيت المصري، جبن بأنواعه زبده عصير طازج للأبناء، وقهوة مضبوطة للأب المتعجل دومًا وكعادته انصرف بعد ارتشاف القليل منها، تناول الأخ فطوره وانصرف خلف أبيه والصغرى ظلت تلعب بشوكتها تذمرًا على إيقاظها مبكرًا فلم الذهاب للجدة مع الأخت الكبرى؟ ما فائدة هذه الزيارات العائلية؟ لا تعرف لم يجبرهم الأب على ذلك وهو ذاته لا يقم بها؟ .

دخلت الكبرى متزينة ببساطة، قبّلت الصغرى بحنان قائلة :

ـ لا تتذمري يومًا ستكبرين وستندمين على مضي هذه الأوقات، وستكبرين بعدها أكثر وتتمني أن يأتيك الأحفاد فرحين مهللين لا ساخطين كحضرتك، ارسمي ابتسامة عذبة وحلي لسانك ببضعة كلمات ستكون لكِ حبل أمان عندما تصبحين "ماما الحاجة" يا شقية .

ـ لا أريد عندما أكبر سأذهب بنفسي لبيت العجزة ولن أدع أبنائي يمنحونني الفتات مثل أبيكِ وعمتكِ، سأذهب طائعة لن احتاج لأحد وأدعو الله ألا يحوجني لغيره .

ـ افعلي الخير ولن يحوجك الله لغيره، ثم هيا اعتبرِ أنها تدريب حتى تستطيعي التعامل معي عندما أَشيخ ويصيبني الزهايمر وأنساكِ أم ستتركينني للغريب يتولى أمري.

ـ لا أنت حبيبتي أختي وأمي التي تكبرني بخمسة عشر عامًا جميلة، أنتِ من منحتني منذ مولدي كل ما هو جميل، سأزورك مع أبنائك يا حلوتي.

ـ أبنائي.. لا مكتفية أنا بكِ دعينا من هذا الأمر واعتبرِ جدتكِ سر الحياة فهي من منحتنا أبانا حسنًا.

ـ تغلبينني بمنطقك حسنًا لكن لن نتأخر، ستأتي معي بعد الزيارة لاشتري فستان جديد، أين أنتِ فيما تركزين هكذا؟!

كانت "أمل" أثناء حديث أختها الأصغر "غرام" قد سحبت جريدتها الصباحية تقلب فيها لعلها تجد جديدا يخرجها من بوتقة ملل استعمر أيامها منذ سنوات، أخبار عن ذبح.. قتل.. اغتيالات.. تفجيرات.. حروب سياسية وأخرى أهلية ذرعت فتنه بين القلوب قبل العقول.

حين لاحظت أختها شرودها عنها كانت قد ثبتت نظراتها على صورة ملونه نجم سينمائي تحيط به المعجبات مبتسمات للكاميرا، وهو كنجم ساقط من كوكب أورانوس يقف بينهن في شموخ وفخر كما لو كان البطل المظفر الذي فتح أسوار عكا وحررها من صهيونية مستبدة منذ قرون.

ابتسمت بهدوء وهي تُري أختها الصورة قائلة :

انظري الفتيات الحالمات يسبحن وسط سحب ناعمة تعلو الأبراج العاجية للواقع جدفن بما يمتلكن من أحلام تذبحهن مستقبلا لباقي حياتهن البائسة ، انظري كيف ينظرن له بهيام وإعجاب منقطع النظير ، لم لا يصرخ فيهن شخص ما قائلا : لا تحلمن يا فتيات ، فكل ما تتخيلن وتتأملن يتبخر ، كما طيران عطر زهيد الجودة ، عن جسد عامية أنهكت من الحياة ، لا تعشقن مخذولا من الحياة فيهديكن جرحا لا يزول .

ـ هل لازلتِ تفكرين به يا "أمل" بعد كل ما حدث بينكما وبعدما تركِك عند أول محطة وصول ليستقبل أخرى تساعده في محطاته التالية؟!

ـ تعلمين أنني انتظرته بعدها لعله يفيق ويعود ، لكنه تركها وترك غيرها ، كثيراً ما أود أن اصرخ في الجميع ، أتمنى لو أقول لهم :

استمعوا لنصحي فجرحي ينزف قيحا بروحي ويضخ القلب جحيما لجسدي ويرسل المخ إشارات من سعير تناديه بالاستسلام عله يحصد ساعة إجابة وببركتها يهنئ براحه في رحاب الله تنجيه من نفس ماتت تدعي الحياة بابتسامة ضعضعت زواياها وصمود من مياه تتبخر ، قلبي يقتلني وإدعاء الحياة ينهش فيه بشراهة ، وذكري من أحب تنتأ الجرح دوما لتخرج روح مشوهة من قبر عفن الأنفاس ، ألا الرحمة أرجو فلا أحد معي إلا الله .

ـ دعيهم يحصدون جزاء ما يزرعون هو وهـن وهـم والكـل كليلـة، لم تعذبين نفسك بتتبع أخباره إنسية يا أخـتي الكـبيرة الحكيمـة، تقـولين أنـني لازلت في العشرين ولا أدري شيئا عن أمور الدنيا ماذا عنـكِ يـا مـن بلغـت خمسا وثلاثين عاما.

ـ بلي... خمس وثلاثون خريفًا في غيابه، أنا حكيمـة في كـل شـيء إلا أمور الحب وشان القلب أختاه، لو رايته الآن لبكيت بين أحـضانه وأخبرتـه بكل ما يجيش في صدري.

ـ وما الذي يجيش في صدركِ ويمنع نسيانك إياه بعد عشر سنوات، مـاذا ستقولين له بعد كل هذه السنوات، بعد أن أضعتي زهـرة عمـركِ في انتظـار من لن يأتي؟!

يومًا سيأتي وسأعترف له بـأن رغـم نجاحـاتي في عملـي وتحقيقـي كـل طموحاتي إلا انه فشلي الوحيد، نقطة ضـعفي، وبأنـه مـن سـكن الفـؤاد، سأحذره مني وأخبره أن يخشاني فتحت الرماد بُركان هـائج، بـل سـأطمئنه وأطلبه منه منح قلبي زيف الأحلام، كل ليله أهاتف طيفه قائلـة اسـتحلفكَ بالله أبحث عني..

أدعوكَ بأغلظ أيمان المؤمنين كي تُشعرني مدى فقدكَ إياي، يا من أهـواه سافر عبر الكلمات، تجول بين شـطحات العبـارات، أذرف أحـرف عـشق ملتهب، وأنزف أنات يتجلى فيها وجدك بأشهى الثمرات، يا عشق عـذبني

قربه أشعرني بوجودك رغم غيابك، أمنحني دفئاً يفتت قهري، ذوبني في بحار المتعة مصحوبة بلذة همسكَ. .

يا شهدي المُطعم بالحنظل شاهدني ذكرى ناعمة، اسمعني شدو حاني، تكلمني بوح لطيف التأثير، ليته هُنا لأحكي لهَ ما حدث ويقيني مما جرى ويجد راحتي الضائعة وسط همهمة البشر الشامتة واللائمة، أنا يتيم أشتهيهَ كعك مُزين بالسُكر.

ـ ماذا إذا قابلناه عندما نخرج الآن هل يمكنك نسيان كل ما فات واحتضانه يا غريرة القلب؟!

ـ ربما وربما اصرخ فيه يا عاشق الفاتنات؛ ملكاتك العاشقات بانتظار تجليك لتمنحهن ماسه تسكن بين شفتيك تريح ذعر عشقهن لظلك وترضي غرور افتنانهن المحموم بلحظ صوتك الفتاك ليغلفهن عطر أنفاسك وجسدك بحرارة الحياة تعقبها لمسات ثملة تفتش عن كنز مخبوء بين الأغصان يليه ما يليه لا يهم فحينها الكل بالكل سكران.

ـ أختي قلبي فزعً يتوجس خيفة، أعتقد أنك تعيشين وهم الحب الصعب، تتوهمين أنه باقٍ على العهد رغم البعد، وأن أنينه وشدوه كله إليك، ويا ربي ألطف أعتقد بأنه موجه لسواك يا ثكلى الروح قبل القلبٍ، فأفيقَي من أوهامكِ قبل الموت على عتبات حفلٍ زفافه.

ـ فقط أتمنى أن يحتوي خوفي وحنيني قبل حبي وحبه، لكن كيف أفهمه وقد أوصد أبواب حنينه، ولازال نبض القلب يُثرثر بأنه المقصود بأغانيه، يهمس لي بأنه واثق من تأثير بسمتي على ذاك الحزين المقهور، وبغرور يظن أنه قادر على قلب كفتي الميزان ليرجح كفة السرور، أن يزرع الفل والقرنفل ليترك قلبه مجبور.

ـ واهمة اسمعي للعقل ولا داعٍ أن تتسببي في أن يبيت خاطركِ مكسور، فأنتِ قبلنا تعرفين كم الإشاعات عن زيجاته المتتاليات.

ـ ها أنتِ قد قلتِ إشاعات، أتعلمين كتبني وإياه ألف. . ألف رسالة وفي لحظة احترقنا، لذا أبكيه قسوة ولكنني افتقدتني فيه، ليلي ودع السهر، نهاري صاحب الضجر، وبينهما طُحن الأمل في لقاء يُطيب ما فيَّ قد قُهر، هل يحق لي العتاب فقلبي لا يحتمل تشعرين بما في داخلي "غرام" أعلم أنكِ دوما الأقدر على هذا!!

ـ أنهى الأمر بفرمان أحادي فلا تستجدي فتستحقري.

ـ لا أرغب في الابتعاد ودومًا أسعى لأي شيء يجعلني أقابلة دون افتضاح أمر شوقي.

ـ تعلمين جيدًا أنه وبعد كل هذه السنوات لم يبق إلا البعاد.

ـ الوطن هوية وبطاقة تعريف، جذر مُصاحب للروح حتى الممات، أرض وأهل وحبيب، بغياب أحدهم يصير قبر بلا مبالغه أو تقليل، وهو كان وطني، يا ربي دعني أتحرر من وجعه قليلًا فقد تنجو روحي وتعود مرة أخرى للتحليق في فضاء الحياة.

ـ لا تتشاءمي اترك أمر قلبكِ لعقلكِ وستنجين من كل هذا.

ـ اعلم أننا مُنعنًا من التشاؤم ولكن ماذا أصنع بنفسي وقد تطيرت من روح في الحياة تهيم بلا رادع أو دليل، فلقد أطفئت نيران الشوق وقناديل الحنين، ثم طمست مشاعل اللهفة، لتُدفن مدينة العشق في قعر بحر الواقع منسية.. حتى إشعار في الغالب لن يأتي، لا تحبي صغيري ففي بلادي لا حق للفقراء في الحياة لكن ربما سمحوا لهم بموت سريع. دهسًا على الطريق أو نزفًا على يد طبيب أو تزاحمًا على أساسيات الحياة، وفي الغالب تسابقًا على أنبوبة أو ربمًا ثمنًا لمحاولتهم الحياة، أما نحن الأغنياء فلا حق لنا في الحب تعويضًا عما نفعله في من هم أدنى منا شأننا ومكانه، العشق يا أختاه للفقير والغني مجرد إسراف، للفقير نعمه ضنت عليه بها الحياة، وللغني ضعف يوقف مراكب المصلحة، العشق لمن في حب الإله دفن الحياة في حضن المصلحة وعاش في البراح ملك

ـ ليت الأمر ثبت على وجع يوم انفصلتما ولم نصل للوجع الحالي تزيدين مع الأيام وجعًا.

ـ ما يذبحني نظرات معارفنا وهي تتساءل: أين ساهركِ يا ليل حزين؟!
دومًا أشرد لثوانٍ ثم أجيب هامسة نادته نداهة بيت الجيران، شهته بحلو كلماتها وحسن عذب المنبت، فهو وكإشارة صامته على فراغه من قبري بني فوقه عشه وفرش صك بدء تعارفنا سجاد إيراني لاستقبال حبيباته، أغلقت كل الأبواب أمامه علني أنل قسط ولو ضئيل من الراحة ولكن حتى الراحة تعاندني وتبكي فراقه، ليتني عن الكون أخفيته ولم أشجعه على تحقيق طموحه.

ـ عذرٌ أقبح من ذنب، لأنه خائن سقط سريعًا.

ـ كثيرًا ما استيقظ صباحًا ابحث عن هاتفي لعله قد أرسل رسالة يؤكد عدم نسياني، فقط كل ما أرادته أن اقرأ كلمة "وحشتني"..
"افتقدتك".. "ليلي عتم دونك" أو أي كلمة ترادفهم لكنه بخل ومنحني البرد ليختل توازن دفق دمعي الصامت ويزيد، هو يعلم أني في انتظاره ورغم علمي أنه لن يأتي.

ـ ألا يؤرقك كيف استطاع استبدالك وأنت للآن وبعد سنوات عدة توالت بعده كلما تقرب أحدهم منك ترينه يقف خلفه يبتسم لتشردي فيه ويزيد هذيانك عن حال الدُنيا والجو وكل الأشياء.

ـ أنا فتاة تعيش ضد التيار، ضد الحياة، ضد الدنيا، وضد ذاتها، لذا دوما مجروحة القلب والروح، ولأني من رواد النيكتوفيليا فأرى نفسي ليله،

أراني أغرب عقلي في أحضانه ويشرق نور وجدي في عينيه ويبزغ قمر هيامي ليداعب ويتبادل مع عشقه ميلاد ومحاق كشهر عربي .

ـ حسنًا سامحيه ، فبعض الصفح هجر ، وأعتبر قربك شفع لوتر عشقه الذي أخل به ، أخبرتني أن كثيرات قلن له هيتَ لَكَ؛ فهات وبات ونام واستيقظ ندمان على صوت عتابكِ .

ـ استشهدت وريقات قرنفلتي فداء إثبات حبه ، همت حوله يجذبني ضياء غرامه فسُلب اللب وشوه جناحاي نيرانه ومن بين رمادي تزعمت ثورة عشق زرعت الورد بأحشائي ليمنحه بعد الشهد عطر وجمال ، عله يومًا يتذكر من ضحى بها على محراب شهرته لكنه لم يفعل .

ـ هل تفتقديه كثيرًا؟

ـ لا لم أفتقده أو اشعر بغيابه ! ! وكيف أفعل وهو ساكن جسدي يشرب . . يأكل . . يتحرك . . يتنفسني وأتنفسه . . يعيش ويحيا عبر أثيري ، وحيدة دون عينيه أنا ، غريقة دون يديه ، صماء دون عبير همسه المُغازل ، هائمة وسط الأفكار دون عطر أنفاسه ، فلوكه يلاعبها نسيم فجر ربيعي ببرود وصمت ، تقتلني أمواج بحرنا السكندري كل ليلة وهي تُدندن بصوت أم كلثوم في أذني : " هجرتك يمكن أنسى هواك . . وأودع قلبك القاسي ، وقلت اقدر في يوم أسلاك . . وأفضي م الهوى كاسي ، لقيت روحي في عز جفاك . . بفكر فيك وأنا ناسي "

ـ هي الحياة ويوما سيكون لها أخر، ليته يلمس وتر عشقكِ كما لمستِ سمائه بنبضكِ، لكن لأنكِ ضعيفة في حبكِ باعكِ.

ـ لم يقصد قتلي لكنه فعل، أحيانًا يكون أفضل حل لنرتاح ويرتاح أقرب من كنا نعتقد أنهم معناَ على نفس النبض أن نثكل أنفسنا، أو نثكله.

ـ تتمنين موته الآن، غريب أمركِ.

ـ من قال تمنى الموت ظلم لمعاليه، هو قرصه أذن قبل لقاء وجه كريم لأفند شكواي وأخبره بدموعي كيف زرع نفسك بتجاويف أثيري وطمر أنفاسه في روحي ثم ببساطة رأى بعده شيء مقدر ومصيري ومن حقه أن يتنعم بأحضان أخرى ويرتشف عشق رسمت أجزائه منذ بدء التكوين، فهو يصر على قهر ما بيده ذُبح، قال رسولنا صلي الله عليه وسلم "إذا ذبحتم فأحسنوا القتلة"، وهو يعذبني بدم بارد، يعلم أنني أدور حول حماه، يقلبني الشوق على جمر الهجر، فأجده أُحتل وفرض النفي والجلاء لكل من كُنت أعتقد أنه جذر ثابت بأرض قلبه.

ـ هكذا؟! ألا لأجل الله وما خلى من أيام وليال وأفعال ترفقت بالقلب من مرارة التجلط ستقتلينني بقصتكِ هذه، بت أخاف من كل الرجال بسببه.

ـ أتعلمين كثيراً ما أُنهي دقات الأمل اعترضًا على رحيله، لكن يفزعني أنه ينتظر حب يـانع يُنهـي وجـودي مـن سـجلات ذكرياتـه وحنينـه، معـه انتظرت وانتظرت ولم يأتني سوى خيبة مؤلمه معقوفة بجبين حنين خُذل.

ـ يومًا سيعلو الحق ليزهق الباطل حوافر خيـل النـور، ستـسمو الأرواح وتطهر النفوس وتُنير دنيانا بحب صادق يشفع للغادر والظالم لدى من مـنهم خُذل وضاع وسـط الآلام، اخـبريني بعيـداً عـن نجمـكِ الـساقط هـذا مـاذا تتمنين؟.

ـ أتمنى محادثة نجوم السماء واستجداء عطفها، أيا أبراج الـسماء العاليـة خططتِ بعض مـن نقوشـك الغيبيـة، ورسمـتِ نبـؤه قـدر مُخططـه، كـي تتوازى خطوط عرض وطـول متعارضـة، فتمـنحني حـب قلـبي ذات ليلـة حانية، أرسلي إليه خبرية يوما ستجتاحك أعاصير أنفاسي ولـن تجـد ملجـأ سوى تلك الفتاة التي تركتها منذ أعوام من أغرت قلبك، أتمنـى لـو تـسمعه صوتي وأنا اخبره "يا من شكلني بطبع نسمات أنفاسـه ودغـدغات شـفاهه تلك المخبولة المتخبطة الحال ما بين حنان آسر وجنـون مطبـق يغمـر شـتات التكوين وبين غطرسة يديه المسيطرة بتفنن رجل عاشق منذ خلـق الإنـسان، أعشق مغازلتك وإثارة شـغفك ثـم الفـرار بعيـدا جـداً. . جـداً عـن مرمـى لمساتك، كنت معكَ أنثى القمر بلحظي أشعل الضياء، سيدة الزهـر وجميلـة ورداته، كنت قناديل الدنيا لشفتيك لهيب حار، نجمه تـسحر الليـل بـدلال

عذارى حوريات البحر، كنت وبجنون أغار عليكَ مني فهل لا أغار منهن بل ومنهم؟! غريب أنتَ يا دقة قلبي!! كيف تعتزلني والغرام؟!" .

ـ ألم تتغير مشاعرك وأنتِ كل يوم تري صورة مع أخرى؟!

ـ أحيانًا أسأل صورته هل تُحبها مثلما كُنت تعشقني؟!، أتذكر كم مرة أخبرتني "عيناكِ منقذتي فآه منها ومنك"؟!، أناديكَ في الليلة ألف.. ألف.. بل مليون مرة فهل تسمعني؟!، اعتقد غير مهتم بسماعي وبأنك ستجيب بل اعشقها أكثر، فأنتَ الآن أنضج وأكثر حنكه وخبرة، آه يا لتعس قلبي المخذول دومًا.

ـ فيما تتحدثان لم.. لم تنهيا الإفطار للان؟!.

ـ ابنتك الكبيرة السبب ظللت اخبرها عن جدوى صلة القرابة والدم وضرورة الاهتمام بالجدة لكنها تعطلنا وتختلق الأسباب لعدم الذهاب كي تذهب إلى عملها كالمعتاد.

ـ حقًا أنا من كنت أعطلكِ واختلق الأسباب للهرب من الزيارة، حسنًا أمي الجميلة سنبيت الليلة هناكَ فلا تنتظرينا بل سنظل أسبوعا كاملا.

ـ هذا ظلم فقط يومان اتفقنا على يومين فقط أمي فلدي حفلة عيد ميلاد "رنا" صديقتي بعد ثلاثة أيام وأريد الاستعداد، هيا يا شريرة قبل أن تورطينا في شيء أخر.

ـ يمكننا العودة في نفس يوم عيد الميلاد.

ـ سأخبر أمي عن النجم الساقط ونيازك السماء المحلقة حوله.

ـ تذكرت لدي عمل هام غدا سنبيت الليلة فقط، وداعًا.

ـ يمكننا حجز تذاكر لحفلة نجمكِ ونعود في المساء.

ـ انتهي الأمر كنت له مجرد وسيلة انتهت فائدتها بتحقيق مأربه منها، يومًا قرر إسعادي بشغف لاهث القبلات سارق لهدوء وتيرة الأنفاس ثم بخل علي مكتفياً بقبلة وداع سرقت مني إلية الحياة، ذهب وهو يرى ذاته محترقاً فداء الناعمات المنعمات وسط فرش وثيرة من مجاز وإطناب كلماته لا يدري بأنه جلاد حرفه وتمثيله المصطنع أشد غدراً من سياف إمبراطور غاشم ضاعت إنسانيته على أعتاب مصالحه.

ـ الإنسانية كل من بعض؛ وبعض من كل، سماء تعطف وتدلل أرض، وأرض تستوعب بحنو لدبيب أنات السماء، الإنسانية سمو خلق وأخلاق، لا ادعاء قهر ظاهر وبالنفس ظلم مخبوء، حب للنفس وللغير لا

كره للنفس وإدعاء سعه الصدر لمن في مجال الاستغلال، الإنسانية فطرة لله وفي الله وإلى الله، لا أحب من يدعوا البراءة والتعفف وبكل أثم يراود كهان قد اعتصموا بالقسم المقدس من زيف جراد الحياة، أخرجيه من عقلك، ومن قلبك امحي وشمه، أغرقي نقوشه في روحك، كي تجدي نفسك، أنتِ سحابُ شراعه فدعيه كي تنطلقي في الحياة ببال خالٍ.

ـ لا يغضبني أنه رحل فكثيرا ما لوح بحقائبه، لا يضايقني كم الأوهام التي نسجها حولي فمعتادة أنا على كسر الخاطر والآمال، لا يحزنني زيف حبه وإدعاء إلوهية عشقهَ فحنانه غطى حتى الحيات، ما قتلني أنه كان الثقة والأمان والآن ضاعت ثقتي في بني الإنسان، كأنني جنيه خُلقت من نور الليل للتجول في بحر الأحلام فقط، بيني وبين الواقع حائط برلين مليء بسوء الفهم، وسور الصين العظيم يفصلنا عن استيعاب متبادل، يا تري. . يا هل ترى من تملأ فراغه الآن بعيدا عن زيف يتفاخر به؟ من تتلقى مكالماته الساحرة وهو نصف غاف عن الحياة؟ من يوقظها في نصف حلمها ليبوح بما غط على قلبه وهو لازال سابح في الأحلام ليستيقظ بعدها ناسيا أنه أجرى اتصالا وما قال ولم ومع من؟

ـ هل يهمك الأمر فعلا؟!

ـ بسببه اعلق يافطة فوق جبيني تقول: تريث يا طالب الود فالقلب مثقل بخذلان من استهان بكيانه، مُكفن بمن لسكناه هان، مخذول ممن قال

الوداع فاضطرارنا للقبول وأعلنا معه حسنًا ليكن الوداع، ولأنه يظن نفسه فوق الجميع زهد الود واختار وداع خسيس، قائلًا أنت أدخلتني عالم النساء فتحملي ذنبك وإن كان الثمن دمائك وكل ما عليك غَال، يثير جنوني كلما رأيت صورة البَاسمة، كيف عشق هيئتي وهو بركَان مكتوم، انطلق بعد ذلك ليفجرني، مجنون أرعن في هيئة عاقل سيعاقب ذات يوم بجنون، بسببه حل أبريل وأينع أقحوان القلب قرنفل أسواد، فأرتد رسول الغرام مستبيحا براءة الكلمات بعد أن شنق عنق شوق إليه بالامتهان.

ـ لو كان أحب ما كان هان، ليتني أستطيع تصديق أنك بعد تبغضينه بعد كل ما فعلت وقُلت!!

ـ ماذا افعل وبعده يتيمة القلب أعاني نزف الروح على أرصفة الحياة، ليته ترك صديقي واكتفى بان ذهب العشق ربما منحه القلب السماح، كلما رأيت نظرات الأصدقاء ممن يعرفوننا نحن الاثنان اسمع عيونهم تقول: هذان كانا ولم يبقيا، فقد صارت لقلبه ذكري يعيده إليها ذات فراغ الحنين، هي كانت تسمى حب أول ذات شغف وعشق، لم أطلب منه إلا أمان قربه فتعلل بالظروف قُلت له دعني بالجوار حبيبتكَ لكنه عشق الرحيل قبل اللقاء، المشكلة لا تكمن في أنني تعبت، المشكلة أنني لا أعلم هل كنت على صواب أم خطأ عندما وثقت به وهل يمكنني الوثوق بغيرة؟ لا أظن!! يا الله انسي كل ما قد أخرجته من جعبة ذكرياتِ، هيا أجهزي.

ـ إذا عاد هل تعودين؟!

ـ هل نُبش قبر سلفًا فبعث من دفن فيه ومنح حق الحياة؟! كل ما مـضى مات . .

بدأت من جديد مع نفسي . . ولنفسي فقط .

* . *

الصفقة

الحاج "محمود" هو رجل صاحب مزاج خاص، اختار منطقة الدقي للسكن لأنه منها يمكنه الذهاب لكل القاهرة دون إزعاج، يهوى الدخان ومغازلة الفتيات، يتنقل من هذه إلى تلك وكأنما هن زرعن في حديقة قلبه لأجل إسعاده وإبهاجه، ولا مانع من عدة زيجات لإنجاب وريث عرش ملكوته، لكن خيبه الله بعد ست زيجات لم ينجب إلا فتيات، وكأن الله يعاقبه على أفعاله ولكن للأسف لاهٍ هو لم يفطن بعد لأبعاد مأساته.

مرت سنوات وسنوات وكبرت زهرات حديقته وأصبح أبا مسئولا عن تزويج عشر فتيات، فزوج بنتين لاثنين من صبيانه في محل ملابس المحجبات ولا سبيل للرفض فهو صاحب مال وأملاك وإن كان الأمر صيت أكثر منه غنى بعد أن سلبته النساء أكثر ما يملك، وثلاث تزوجن من أبناء عمومتهن واثنتان لأولاد الخالة والخمس فضلن السفر مع الأزواج بعيداً جداً عن سيطرة الأب وسمعته التي غطت على خبر فوز الأهلي على منافسة الزمالك بسته أهداف مقابل هدف واحد.

كان يدلل على فتياته لخوفه أن يرد إليه ما فعله ببنات جيرانه وأصحابه وحتى زملاء المهنة من أصحاب المحلات والتجار، وأخيراً وفق وزوج اثنتان لاثنين من أصحابة ماتت عنهما زوجاتهن ويريدان من يخدم الأبناء دون مقابل وتم الأمر دون أن يتكلف مليم ويا لفرح قلبه انزاح عن كاهله سبع مع توصية شديدة اللهجة ممنوع العودة للمنزل غضبى، فهو يريد إخلاء البيت

لزوجة أخرى والأفضل أن يكنّ بالخارج ومن ستبقى ولا تتزوج ستخدمه وزوجته الجديدة، هو يريدها ملكة لتحمل وريثه بعد غياب وشوق لا يعادله شوق ولا حتى الحج للبنان أو تركيا لأداء مراسم عشق مع نوع جديد لم يألفه من الفتيات.

ممنوع الموافقة على زوج فقير أو حتى ميسور الحال وإن كان شاب يناسب فتاته فهو لن يتكلف مليم في أي زيجة فالحال لهن معلوم والأعمى عليه الرؤية من بين ثقب الغربال، بشره صديقه التاجر أنه أحضر عريسا كبير السن من السعودية ثري وصاحب أملاك ولدية ثلاث نسوة لكنه يريد مصرية وصغيرة تعيد إليه شبابا فني من سنوات ويمكنها إنجاب طفل واحد فهو لا يريد ظلم أو إفساد، اشترط عليه الوالد أن يحضر زوج أخر للأخت القبل الأخيرة فوافق وتم الأمر وسافرت الفتيات مع وعد بإيجاد زوج لأخر واحدة بمجرد تنهي شهادة البكالوريوس كما اشترط عليه إخوتها.

وأخيراً سأرتاح زوجت تسع فتيات في عامين يا لي من أب ذو رزق واسع، لم يبق إلا شهور ويتخلص من أخر واحدة ويخلو له الجو لفتاته، جميلة هي كحب الرومان، شهية كما خوخ لقحه التفاح، معجونه بالمشمش تمر من أمامه فتقلب كيانه مئة وثمانين درجة دون نقصان، صديقة لابنته الكبرى لكن لا مانع فمنذ لمحها تمزح مع ابنته وهو مار من أمام محل عملها وهو معجب بل متيم فلقد جذبت انتباهه، صغيرة هي لكن ما المانع هو رجل لا يعيبه إلا جيبه ولقد أدخر مبلغ وفرة من مهور الفتيات يكفيه ليعيش

ملك عشرون عامًا بالتمام، سيعيد أمجاد الماضي وينسى زوجاته سواء متن أو على قيد الحياة سيطلقهن لينضممن إلى طليقاته لا يريد حيزبونات تنغص عيشة ستكون "عائشة" كل حياته حتى مماته ويدرك أنها ستكون أم الولد بعون الله.

.

ـ ثم ماذا؟! متى ستتوبين عنه صديقتي الوحيدة؟!

ـ حذفت الرقم ولم أنس، حظرت حسابه على الفيس بوك ولم أنسَ، لذا عندما أغلق حسابي على الفيس بوك، والسوند كلاود، والياهو، ولا أحتاج للذهاب إلى السيدة وأضطر للمرور من أمام محطته في المترو، ولا اذهب لزيارة خالتي في الإسكندرية لأمر بالبحر فأشتاق ويحتار دليلي، وعندما تختفي ولا تُفاجئني كوابيس ليلية لاستيقظ فزعه استجدي صوته يُهدئني سأنسى، ربما عندما لا استيقظ صباحًا وأنا أفكر أن أبدء إيقاظه، عندما لا تأتي العاشرة فانتظر محادثته ولا الثانية ظهرًا موعد محادثة قبل النوم، ولا اتصال السادسة عند استيقاظه، ولا ذاك الموعد في العاشرة مساءًا للاطمئنان على الحال، ولا اتصال ما قبل الفجر لإيقاظي فابدأ هذيان وسرد أسرار الجيران بين الصحو والأحلام لمدة ساعة، حينما أنسى كل هذه الذكريات وغيرها سأنساه وأرحل صديقتي.

ـ بسيطة....

ـ لا اعلم كيف تهوين وتظلين على العهد مع من باعك؟، ألن تعقلي؟! هل تريدين إعادة مأساة أبيك؟!، اتركي الخيال ودرب الهوى، فهو لمن ملك حبيب حقيقي يبادله الغرام، وأنتِ ويا لبؤسكِ تعيشين الوهم بلا أمل ولا دواء.

ـ أحبه بضمير، عشقته.. وعلى أسوء الظنون صديقتي كما يتهمني هو.. تعلقت به، يا لسوء حظي؛ بل يا لسوء ما ساقه إلي قدري أيكون قد كرهني؟! كان يخبرني أني كل حياته، أني الأمل والأمان وسر ضحكه، كيف سلاني فجأة؟

بل كيف قدر على اتخاذ قرار الهجر؟ كيف سينساني؟ أجيبيني قد كُنتِ منا قريبة أكان يبدو عليه أنه يتلاعب بمشاعري؟ بالله عليك أريحي قلبي؟ النار مُشتعلة بكل ما فيّ وليته يُبالي!! لمَ لا يُبالي بعد كل ما كان؟! لمَ فجأة أعلن العصيان؟! لمَ هذا الصمت وهذا الجرح الغائر منه؟! ألهذا الحد كُنت مجرد لُعبه منها يستجدي الحرمان؟ وفي أول فرصة انتهز الأمر وباع ما بيننا من أيام؟

ـ لا اعلم ولا أريد أن اعلم فيكفي أنه يغازل غيرك أمامنا جميعًا وكأنك كنتِ مجرد سيجارة دخنها ثم رمى رمادها على الأرض وبقدميه فتته، هل يعجبك انه لا يراعي مشاعرك ولا حتى منظرك أمامنا نحن أصدقاؤكما ومعارفكما المشتركين؟! ألهذا الحد تهون عليك ذاتك؟!

ـ يقتلني سوء الظن ومحاربتي إياه فكيف أسيء الظن بمن ملك الأحلام؟! ، الحل بأمر ربي فهو القادر على منحي النسيان أو حتى صك الغفران.

ـ غفران ماذا ولمن؟! أفيقي من عتهك هذا هو باعك برماد سيجارة، لم يهتم بحالك اختار أن يكمل حياته بأريحية دون شعور بالذنب، داس كرامتك وعليه هُنت فأفيقي من غيبوبتك تلك، أتذكرين محادثتك مع ذلك العراقي عندما لامكَ على حبه، ماذا قال ذكريني ثانية!!

قال: لن يُكمل معكِ، ولحدائق قلبي ستعودين تغرق أمطارك صدري.

قلت: لا تثق في نفسكِ وتُهينه فهو أكبر من كل أقوالكَ

قال: تُعاندين منذ شهور فماذا جد؟ لا شيء سأتركك يا جاهلة وسيكسر يومًا غرورك هذا وحينها ستذكرين رجل حاول مبادلتكِ العهد يعيش ما بين دجله وفرات.

ثم عاد بعد شهور يسأل ثانية..

قال: ها ما أخبارك تركتكِ شهور وشهور ولم تبحثي حتى عني يا ناكرة لجميلي.

قلت : ماذا تريد ألم تغضب وتفارق مع وعد بعدم العودة؟

قال : هل تزوجتِ لا تبدي كذلك بالطبع فارقكِ كما قلت في السابق؟

. . لم أجيبه فأكمل

قال : لا داعي لـصمتكِ أو حتـى محاولـة التبريـر فـالأمر كـان واضـحا وصريحا

قلت : لا شيء كان واضحا يا هذا فلقد كنا عن حق عاشقين .

قال : ثم ماذا؟ هل تمنى الموت بين أحضانك؟ هل تمنـى الـذوبان فيـكِ؟ هل كان أقصى أمانيه أن تسكني بيته وتعمري صحرائه؟ هل منـع الـوردات من بث رحيقها في سمـاء أفكـاره مكتفيًـا بـشذاكِ؟ هـل غـزل شـباك تـصد الفراشات عن بسماته مكتفيًا بأنفاسك؟ هل صم السمع عن شدو العـصافير مكتفيًا بغرامكِ؟ يُمكـنني إحراجـكِ أكثـر لكـن يكفـي فلـيس مـن العـدل إغضاب أنثى .

قلت : وبالطبع رجولتك تأبى عمومًا هو شخص طيب

قال : شخص طيب . . . أممم أضحكتني حمقاء أنتِ وضحك عليكِ

قلت : سخيف أنتَ مدعي بفظاظة

قال: من وراء قلبكِ أعلم فأنا الوحيد القادر على فهمكِ واحتواء عقلكِ وجنونكِ

قلت: حقا عن جد أنت مغرور

قال: مغرور بحبك وبسحر بلادي أشور وبابل، أخبرتكِ ستعودين فأنا اخترتكِ وألقيت التعاويذ لتحميكِ لتكوني أرضي وسمائي.

ـ نعم.. نعم حتى البعيد عنك ومن لم يرَ وجهك البائس عشقكَ ويتلوى حزنًا عليك وعلى حالك وأنت تريدين الغوص في بركات أوحالهَ أكثر وأكثر، إلى متى صديقتي ستظلين هكذا تخدعين نفسك؟! ثم لم لا تتزوجين هذا الشخص فأباكِ لن يمانع كل ما يهمه أن يكون ثري وهو كذلك؟!

ـ لا أريد الذهاب إلى العراق ولا ترك مصر.

ـ ليتني أسافر أنا لا أريد البقاء هنا.

ـ أتعلمين كلما أردت أن أسحر له ليظل باق على حبي بل والتقلب في عشقي كما سمكة تُشوى تذكرت.. عقاب الله بجحيم سيفصله عني لدخوله الجنة شهيداً جراء أفعالي، أكرهني لأني أغضب عندما يُغضبني بجنون وأتغاضى عن قهره مني لضعفي أمام فتنته المعتادة لعقلي؟

ـ من هذا المقهور منكِ لا تعيشي الوهم هو يتسلى بك كما يتسلى بغيركِ يلعب بنا جميعًا .

ـ جميعًا؟ ! ! ماذا تقصدين بجميعًا هل قال لك أحبك أيضًا ، بالتأكيد لم يفعل فهو يحب الجميلات الشقيان وأنت لست كذلك ! ! .

ـ ولم لا يحبني هل أنا اقل منك؟ أنا أكثر منكِ جمالا وليس معنى أنني لا أحب مصاحبة الشباب أني قبيحة ، أنا أريد الاهتمام بمستقبلي والحصول على شهادتي وإكمال دراستي لا العب مع الشباب وأتنقل بينهم كما فتيات أخرى ، لا أنكر أني تمثال من شمع بالنسبة لجميع من يراني أو يتعامل معي ، لكن يسكنني بركان شغف ، وتحيطني زهور لارنج الشوق وبذور الأحلام ، يملؤني زهو الطاووس لأني متفردة في عشقي وغرامي ، والوجد لدي قاموس يبدأ بالألف ولا ينتهي بالياء ، قلبي تفاح أماني ، وروحي خوخ وعنب الأيام .

ـ ليتني ما عرفتك عليه ، عليَّ الاختلاء بنفسي ، إلى الملتقى إن بقيٍ في العمر لحظة للقاء ، ربما إذا سافرت لحظات في ملكوتي فوق السحاب بين النجوم والقمر ارتاح ثم أعود لعالم الأرض ومتاعبه .

ـ لم اقصد إزعاجك لكنك ضايقتني عندما قللتِ من شأني .

ـ ربما على جلد نفسي فأنا السبب، ليتني لم أُفرج عن عطر أنفاسه للوجود، ليتني لم أُفش سر سكري بين كلماته وغزله، ليتني لم أُعلن للجميع عن حسن خصاله وتيهي بين وديانه، ليتني لم أتفاخر بحبي له وحبة لي ولم أُخرجه لعالم محروم من الحب، ليتني لم أمنحكم حق مشاهدة سحر نبض حرف همساته الولهانة وسط خطوط عشقي، ليتني . . ليت العقل قيدني عن البوح باحتلاله عالمي، وتفضيلي له على كل من عرفتهم فما نالني غير الخسوف بعيداً عنه بعد غيرة وحقد مما به ميزتني، وفي النهاية ليتني ما عرفته فربما كنت بقيت على قيد الحياة وبقيتي أنت صديقتي.

ـ لا تقلقي لا انوي البقاء معه أو أخذه منكِ.

ـ هل ستخضعين لأحكام مجتمع يحكمه أفراد غيبتهم تقاليد وأعراف بالية، هل ستكونين عروس خشبية في مسرح العرائس تدفنين مشاعركِ كي لا أدهسكِ بأوثان أحكامي عنكِ وعن خيانتكِ لصديقتك الوحيدة؟!

ـ أوثان ماذا كفي عن استخدم أسلوب آداب قسم فلسفة خاصتك هذا، لا استطيع الإجابة سريعًا لأنني أحاول تحليل كل ما تقولين لكي لا يكون فيه شرك أقع فيه.

ـ يا ابنتي افهميني ابتعدت عنه لكنني لم استطع نسيانه، فليس كل البعد كره؛ ولا كل الهجر ضغينة، فأحياناً يكون ضيقاً من سلوك لا تريد تغيره ولكن أيضاً لا يمكنك احتماله لما بقى من حياتك.

ـ حسنا يا جميلة اللهم ارزقنا القدرة على الاحتمال والصبر على المكارة وبعض من فلفل النسيان.

ـ يؤلمني التذكر والتفكر وضياع النسيان وسط دروبهما، توهمت الذكرى صور فوتوغرافية ومحادثات فقمت بحذفها؛ فاشتعلت ثورة الحنين بالقلب عارضة كل ما كان مغاضبة العقل وتجبره، لم الأمر موجع هكذا ؟!، لم النهاية بعيدة جدا هكذا واللانهاية هي المسيطرة؟!، يوماً ما كان حُب حياتي وكُل أمالي والآن هو وجعي اللانهائي قهري وخيبتي الكبرى الآن هو ضعفي الأزلي، فالآن ويا لسعدي أنا كائن رخوي، هلامي، أطير وأسبح وسط برك خيالي المُعتم.

أتنفس إحباط، شهيقي بغض لذاتي، وزفيري كره لحياتي، ويوما اعتقده عما قريب، سأزف ليعرس بي التراب، يضمنا القبر بترحاب، يجهزني الدود بهمة لدمج الجسد بالتراب، لا يبقى غير الروح المعلقة في ملكوتها الخاص بالسماء.

ـ يا حبيبتي إذا توفاك الله فشريكك سيرتاح فهو في وادي أوهامه يعلو ويسمو غافل متغافل ومن حوله يحترق العالم فداء سيادته، تباً له.. من قال بأننا لن نستطيع فعل مثله وأكثر؟!! اعلم أنني في نظرك مذنبة جريرتي عشقه وفي محيط عطاءه الشحيح أعيش برغد مثلك لكنك لم تخبريني بكل ما بينكما كنت أظنكما مجرد صديقان.. مجنونه.

لماذا لم تخبريني بان حبه يوجعك هكذا؟ بأنك وهو على وفاق ولكن كيف تكونان على وفاق وهو معي هكَذا هل يلعب بالصديقتين لا يكفيه من لا نعرفهن؟!

ـ اخبريني هل أنا ملاك شرير، أم شيطان بريء؟! شحبت روحي، وتدثر الجسد بكآبة وإحباط، ضاعت ملامحي في هذه الدنيا ليسحبني عالم سفلي، بنبيذ أحمر وجنون مطبق ملكت جواز مروري، ليبدأ انتقامي من الحياة، فمن وهبته الحب والعشق بثمل عاقل يبدو كصداع قاتل أعاني منه بتلذذ، لا أتناول أدويته يزيد فأصرخ وأصرخ ليسمعني النمل وحفيف ورق الشجر فتتلو اليرقات بشرانقها آيات شفائي وتنزل دمعات السماء مرطبة تمحو ألمي بقرب يقتل في كل الأنات. .

أنا ملاك وللشيطان حبيبة ملكة الجميلات بوصلة، أرملة سوداء في بعادة، يقترب لنتبادل شهيقا وزفيرا بمحارات القُبل ونرقص بمجون تظللنا سحابات ماء البحر.

ـ نهار أسود ما هذا الخيال؟! علينا الابتعاد أنا وأنت، هل فعلت معه كل هذا؟

ـ وما المانع؟!

ـ تمزحين؟!

ـ الم أخبرك أنهم يخربون حياتنا ثم يدعون لنا الله بجبر الخاطر ، مُتخلف جاهل والقائمة تمتلئ وتفيض لأنه توهم بقاءه وبقائي على العهد بعد أن نزغ الشيطان بين سمائي وأرضة وزرع بذرته في رحم الحنين ، هو يدور كما ناقوس يتباه بحبيبته المقتولة خلف كلمات غزله ، يتفاخر بعشق يفوق الشمس سطوعاً ، وبطلة أشعته مذبوحة روحي وسط أعاصير روايات عشقه وأفعاله معي .

ـ لا اصدق أنك وصلتِ معه لهذه المرحلة ، كيف تركتيه يلعب بك هكذا؟ !

ـ علمت اليوم صباحًا أن أبي يريد الزواج من " عائشة " ؟ !

ـ " عائشة " من؟ !

ـ " عائشة " يا " رنا " " عائشة " ! ! !

ـ أخت " سعيد " حبيبي اقصد حبيبك أأ . .

ـ حبيبنا نعم هي .

ـ ثم ماذا؟

ـ يذهب إليها المحل محملا بالهدايا وعندما ترده يرسل إليها هدايا أخرى مع أشخاص آخرين وأنها خائفة أن يعلم زوجها فيطلقها ويتحقق مراد أبـي فأخبرت أخاها "سعيدا" لذا كان خلال الست أشـهر الماضـية ينـتقم منـه في وفيك، وصباحًا أرسل رسالة يعلمني كل هذا وطلب مني أن ابعـد والـدي عن أخته بطريقتي وإلا فضح أمري أمامه، كما . .

ـ هيا أكملي .

ـ كما اخبرني أن المحل الذي تعمل فيه "عائشة" وكنا نذهب إليه هنـاك ليس ملكهما كما زعم مشاركة بل ملـك زوج "عائـشة" ويأتمنـه عليـه هـو والسيارة لأنه يعمل في الكويت ويـترك عائلتـه وشـأنها في رعايـة "سـعيد" ليشعر بالأمان عليهم، قال أن حزني بـسبب مـا فعلـه والـدي، وأن عـذابي جراء أفعال والدي الغير مسئولة والأنانية، فهذا هو حال الدنيا سلف وديـن وللأسف كُنت أنا حافظة دين أبي ومركز دائرة انتقام الجميع منه .

ـ ما كل هذه الأكاذيب؟ ، ولماذا "عائشة" هي متزوجة؟

ـ لان لديها ثلاثة صبيان وهو يريد الولد .

ـ كيف وصل أبوك لها منذ البداية؟

ـ هو يعلم كل الدنيا لا اعلم ربما احد أصدقائه أخذه هناك أو هو كان لدى إحدى نسائه فرآها وتبعها تعلمين أبي وأفعاله، أتعلمين انه وعدها أن يكتب لها شقة الزمالك باسمها إذا وافقت.

ـ هل تغضبين إذا قُلت لك زوجيني إياه لكن بشرط أن يملكني شقة الزمالك ليعيش فيها أهلي تعلمين أن شقتنا آيلة للسقوط.

ـ هل كنت تحبين "سعيدا" لأجل ثرائه؟! ثم كنت أظن أنكِ مرتبطة بابن عمكِ!!

ـ نعم وهل اكذب لتصدقيني، ثم أنا و"سامح" انفصلنا.

ـ ماذا هل خانك أيضاً؟!

ـ بل تعلل بالظروف لكنني مقتنعة أنه لم تفرقنا الظروف كما تظن عائلاتنا، بل فرقتنا كلمة لم يقلها حينما رغبتها، وفعل لم أحظ بحركاته حينما احتجته، وصمت في لحظة ثارت أعماقي علي، افترقنا بسبب كلمة وفعل وصمت بخل باثنين وغمر بالثالث على من يدعٍ أنها ملكت كل ما فيه، افترقنا عندما جلس غير مبالٍ وكنت أظنه صاحب لحن العمر وعازف موال الواقع والخيال في حياتي، افترقنا لأنه يريد الفراق وبناء حياته على حساب

غيره، أراد الحياة داخل قصيدة على الورق ألفها نزار تسكن أو تتناقل أبياتها شفاه المحبين لكنها في الواقع جنين حنط في متحف الحياة.

ـ عندما يذكر "سامح" تتحولين إلى شاعرة.

ـ كان يقول لي عندما يريد وصف كم يعشقني " صباح نغم عشق روح الياسمين فأفاق وقد تبدل حال عن حال ورزقنا جنه تفوق شهد الخيال حبيبتي أنتِ روح الياسمين وأنا النغم ونحن عاشقان ليس لنا مثال" وها هو فر إلى السودان عله يجد فرصة أفضل للعمل وفضل تركي لأشق طريقي وحيدة، الآن ماذا هل ستساعدينني على الزواج من أبيك؟!

ـ لا اعلم، ماذا إن عاد "سامح"؟!

ـ تزوج سودانية تملك مزرعة لتربية المواشي وهو أصبح المدير، اطلبي "سعيد" أخبرية أنك تريدين عقد صفقة معه، ستبعدين أباك عن أخته وزوجها، ولأنك تحبينه ستغفرين له انه كان يلعب بمشاعركِ، وشرطك أن يتزوجكِ لإتمام الصفقة.

ـ سيرفض ويهددني بما معه من صور وخطابات ورسائل موبايل ومحادثات مسجلة.

ـ إذا فعل قولي كل ما سيحدث أن يمنعني أبي من الخروج وعلقة ساخنة تجعلني ألزم الفراش لمدة شهر، ثم يخرج وهو مصرٌ على إتمام زيجته من "عائشة" أو على أقل تقدير إفساد زواجها انتقامًا منك، هيا اتصلي.

ـــ ألو "سعيد" لدي صفقة.

.

في قاعه أفراح نادي المعلمين عقد قران الأب وابنته في نفس الليلة ليجلس الأربعة متراصين تصدح أغاني المهرجانات لتشعل الفرح، في منتصف القاعة ترقص "مي" مع "سعيد" وهي في قمة السعادة فأخيراً نالت ما تمنت.

أما "رنا" فجلست جوار الحاج "محمود" الذي ركزت عيناه عليها تكاد تلتهمها وهي تتباهى بطقم من الذهب تبلغ قيمته الخمسين ألف جنيه هدية زواجها بالإضافة إلى شقة الزمالك كما طلبت، مع وعد بسيارة أحدث موديل ورصيد في البنك لا يقل عن مائة ألف جنيه إذا أنجبت الولد.

لا يدرك أنها ما رغبت في غير الشقة ولا ترغب بأولاد بل تسعى لإنهاء الزيجة سريعًا لا يهم سيارة أو رصيد بنكي، ظل يلاحق حركاتها بنظراته لا يصدق أنه تزوج تلك البكر ملكة جمال المنطقة بسهولة والأجمل أن ابنته أخبرته أنها تعشقه منذ سنوات ولكنها كانت تخشى الاقتراب منه أو إظهار

مشاعرها بسبب كثرة زيجاته، ولولا أنه حاليا طلقهن جميعًا ما كانت ابنته أخبرته بالأمر لينتهز الفرصة ويذهب لطلب يدها.

عندما ذهب لمقابلتها في الكلية كما خططت ابنته وافقت على طلبة بالزواج ولكن ما ساءه أنها اشترطت عليه أن تتزوج ابنته صديقتها "مي" أولًا فهي لا تريد أن تسوء علاقتهما إذا تزوجت وانتقلت للعيش معهما في شقة الدقي كما أنها لن تكون على راحتها.

ولأنه محظوظ جاء شخص مع احد أصدقائه التجار بعد يومين يتقدم لابنته وتوسط له التاجر لأنه كان متزوج ولديه بنت وولد يعيشان مع أمهما بعد أن طلقها في شقة الزوجية، فاشترط عليه أن يتم الزواج خلال شهر وأن يكتب قائمة ومؤخر صداق كبير فهو لا يريد أن تعود إليه ابنته بعد سنه مع ابن أو بنت لتنغص عليه فرحته بزوجته الصغيرة.

وافق "سعيد" فهو لن يتكفل بأية مصروفات بهذه الطريقة وسينقذ زواج أخته ببساطة ولن يتضرر عمله معه، وسيمرح قليلًا مع "مي" وهي وظروفها يكمل أو يطلق حسب الأحوال، لذا وافق واستغل الفرصة واشترط أن يسكنا مع والدته في نفس الشقة فهو لا يستطيع تجهيز شقة في هذه المدة فتم الأمر.

ذهب بعدها الحاج "محمود" لابنته يـزف إليهـا الخـبر فأخبرهـا بمجـيء عريس يدعى "سعيد" صديق لأحد أصـدقائه يعمـل مرشـد سـياحي وأنـه وافق عليه وسيأتي غداً لتتعرف عليه وسيتم الزواج خلال شهر.

صدم عندما رأي "عائشة" آتية في اليوم التالي مع أم العريس وعلم أنها شقيقته، هل يزوج ابنته لأخو من كان يسعى خلفها كما كلب يلهث؟!!..

ماذا في هذا؟!

لا يهم

فهي كانت صفحة وأغلقت، المهم أنه..

المهم أنه سيقتني هذه العذراء اليافعـة بفـضل أخيهـا هـا هـي أصـبحت مفيدة برغم رفضها الزواج منه فببركة زواج أخيها من ابنتـه سـتكون "رنـا" ملكة قلبه وعمرة وأم أولادة، وحتى إن لم تنجـب الولـد يكفيـه أنـه تـزوج حورية من الجنة على هذه الأرض البائسة.

.

قاتل ومقتول

أثناء الاستراحة من اجتماع مجلس إدارة شركته العقارية لتجهيز بعض التصاميم المطلوب مراجعتها للبدء في تجهيز شقق اقتصادية للشباب كمساعدة منه في خدمة أبناء وطنه، سمع صوت قدوم رسالة إلى موبايله، فتح ليقرأها فوجدها من صديقته "عبير" زوجة احد المسئولين الكبار ممن يساعدونه في إنهاء العقبات التي تقف أمام مشاريعه تشاغب فيه وتطلب لقاءه:

لم يعد شقي الغجري يُغريني مُنذ عرفتك وسيطرت روح الكونتيسة لأصير ليدي أب عن جد، لكنك علمتني كيف يكون العشق ثم رحلت ممتطياً صهوة كلماتك صوب الشمس، لأصير أنا المقتول في أرضك بلا دية، أفتقد روحي فيكَ، أشتاق إليَّ لاهثة بين عقد أحبالك الصوتية، سابحة عبر أمواج نبع رحيقكَ، افتقدني مُبخرة أنفاسي بأنفاسكَ، مدثرة بردي بحشايا دفأكَ، في غيابكَ يكفيني اشتياقي قاتل، أريدك الآن؛ الآن.. هل تفهم؟!!

علم أن زوجها غير موجود معها بما أنها راسلته فطلب رقمها، حاول التملص من دعوتها للعشاء فزوجها في رحلة مع مجموعة من أصدقائه وسيغيب ثلاثة أيام، عندما أصر على الرفض صرخت فيه "أترفض لقائي لأجل صديقتك الجديدة تلك السمراء النحيلة ماذا يعجبك فيها هي طويلة كما النخلة، آتية من منطقة ريفية، بنت كيادة لا تميز الألوان لا تستطيع حتى تنسيق ملابسها" قال لها مغيظًا هي غيرك عاقلة هادئة متفهمه أكثر حنكة

وواعية، فأغلقت الخط في وجهه، انتهز الفرصة والتقط صورة سيلفي وأرسلها ومعها رسالة "من قلب الحدث سأعرض بعد قليل ما صممته ولن يجرأ أيًا من الأعضاء على رفضه فأنا رئيس مجلس الإدارة، ولأنك تجيدين عملك فلن يجدوا ثغره".

.

استيقظت على صوت رسالة موبايل، فتحت فوجدت صورة "مازن" قبلتها قائلة أستغفرك ربي إن كان حبي ذنب لكنه هيج شغفي رغم تعنته بفرض برودة تعامل أمام الغير ومشاعر مختبئة كي لا نمسك بجرم العشق المتبادل، يا له من متباه يعلم أنني مفتونة بكل ما فيه لذا يرسل صورته ليشاكسني كل ما فيه.. ذقنه الصائمة.. شفته الباسمة.. شعره المنافس للحصان البري جموحًا.. نظارته العاكسة لعينين داخلهما بحر يمتلئ عسلًا ولبنًا فتتم المؤامرة بنجاح ويسقط قلبي لهفة ويزوغ العقل وتتيه الكلمات خلف سرابه متمتمة الله أكبر حبيبي ملك العشاق.

آه لو تعلم ما تكنه لك حبيبتك مهندسة المعمار والشاعرة المرموقة داخل القلب، لقد نسيت فيك ذاتي فوجدتني، ماذا لو منحتني قبلة صباحية؟ فبالصدفة حدث أني أشتهيك قُبلة لا تنتهي، لو تعلم أن ضحكاتي كلها منك واليك، فالضحكة الأولى معكَ والثانية منكَ والثالثة إليكَ والرابعة فيكَ والخامسة وإلى مَا لا نهاية احتواء حنانكَ أنتَ.

أرسلت إليه رسالة صباحية نصها :

" قيل أخبر أخاك بحبك تفوز ورغم أنكَ لست بأخي إلا إنني أخبركَ أني أحبك وأحبكَ . وأحبكَ وفوق الحب أعشقك وأهواك وكما تفيض دموع إيزيس بثبات على أوزوريس يفيض حبي دون نقص أو إغراق، أحبك يا من تفسد صيامي بكلماتك وصورك هذه " .

بعد دقيقتين جاءها اتصاله . .

ـ حبيبي صباحك جميل مليء بالفل والعنبر .

ـ صباح ماذا نحن في الثانية عشر ظهراً يا كسولة، هيا استيقظي فالكون لطلتك مُنتظر، لقد حاولت رشوة النسيم كي يوقظكِ في مقابل ألف؛ ألف قبلة بحب وشغف ودعوات برزق وافر بلقاحات يرشو بها الورد والزهور، ودعوات مفندة بكل ما يحلم به، لكنه خشي الدخول إلى حجرتك فيأسره عبيرك وجمالكِ، لذا اضطررت لمناداتكِ لكنك لم تسمعيني .

ـ تريد تقبيل النسيم ورشوته، القبل لي أنا لا احد غيري فأنا فتاة غيورة، أصبحت شاعر مثلي أم من الأصل أنت الشاعر لم اعد أدري من منا الشاعر هنا؟، الآن بماذا نادتني فلقد حجب عني النوم نداؤك؟

ـ أنت أيتها النائمة . . أفسحي مساحه فأنا أريد مشاطرة أشيائك فيـك، استيقظي أيتها المسبحة روحها في ملكوت الله الفسيح، اسـتيقظي أو خـذيني معك لنعيد زخرفة فن التسبيح .

ـ حبيبي هو سيد نوم هذا يعلم أنني لم أكن لأقاوم إغراءك فحماني منك .

ـ يا لبؤس ما فعلت ليتني لم أوقظك بئس الفتيات أنتِ وتعسًا لحنـيني، هل تفضلين النوم علي؟ ! .

ـ لا بالعكس يكفيني أنتَ وقلبكَ من هـذي الـدنيا، فالحـب أنـا وأنـت يجمعنا فجر واحد، ممم ماذا تقولِ؟ ! .

ـ لم أقل شيء، لم انطق حتى ! ! .

ـ ليس أنتَ، لا أحدثك أنتَ .

ـ أيوجد رجل معكِ في الغرفة ؛ "سهام" هل تبيتين مع شخص ما؟ ! !

ـ أحدث نفسي أخبرتني أن صيامي لا يجوز بسببك؟

ضاحكًا أجاب : حقا ولماذا؟ لم افعل شيء بعد .

ـ أخبرتها بهذا فقالت فيما تحدثتما؟ فأجبتها لا شيء غضبت عليه لأنه أيقظني مبكراً رغم علمه أنني سهرت حتى السابعة صباحًا للانتهاء من تصاميم مشروعة، وسخرت منه قليلا لأنه كان يريد رشوة النسيم ليوقظني، ثم أظهرت قليل من بحر غيرتي وأريته كم زادت حروف لساني طولا، فهل هكذا انقض صيامي؟

ـ انتظر إجابتها بماذا إجابتك؟!

ـ قالت عليك منحه وردات بسمة عينيك وبعض من فاكهة شفتيك بود عقاب قصر قامتك مقابل لسانك، فقلت لها إن كان استأذن ليحوز شرف القطفات الأولى؟! لكنت منحته الثانية وما يليها بتبرع مني لكن هو نالها دون استئذان لذا عليه السعي لها وبذل المجهود ليقدر قيمتها.

ـ يا سلام يا سلام دقوا الطبول واعزفوا فالليلة أنا والقدر معا لدى الحبيب.

ـ مجرد التفكير فيه يحلى الدنيا حتى لو كان بينكما بلاد وبلاد.

ـ لماذا تقولين هذا؟

ـ سأسافر بعد ساعة إلى شرم الشيخ لحضور مؤتمر وأعود بعد عشرة أيام.

ـ لماذا لم تخبريني من قبل؟! كنت عندك منذ ليلتين لماذا لم تخبريني؟!

ـ كنت انوي هذا ولكنك قبل أن تنصرف أخبرتني أنك مرتبط بأشياء كثيرة هنا، وإذا أخبرتك كنت ستؤجلها ولم أرد تعطيلك لذا قررت أن أخبرك قبل السفر.

ـ غاضب منكِ على فكرة، لا يحق لك أن تخفي عني أي شيء فأنت في المقام الأول مسئولةَ مني.

ـ اعلم ولكنني أريد مصلحتك لا يمكنك تعطيل عملك بسببي.

ـ لماذا لم ترسلي صورك في عيد ميلاد صديقتكِ "ميرنا" بالأمس؟

ـ كم ستُعطينني لأُريكَ الباقي؟

ـ قُبله وقبله نظير الواحدة وإن كانوا ألف سأعطيكِ أربع كي لا يغضب أي ركن من وجه يبتسم الآن في حياء رغم أنه من يمارسَ إغرائي.

ـ أتعلم كلما أغضبتني فعله منكَ حدثت نفسكَ فيَّ فأعادتكَ بعد مجهود مني إليكَ ولكنني لا اشعر بالاكتمال إلا معك أحبك جدا.

ـ وأنا أعشقك، ماذا ستفعلين الآن هل أنت صائمة فعلا؟!

ـ بعد هذه المحادثة لا اعتقد أن الصيام يجوز سأفطر ثم انطلق لألحق بموعد طائرتي .

ـ إلى لقاء قريب حبيبتي .

ـ سأنتظرك أفرغ من كل أعمالك وتعال لنقضي يومين معًا هناك .

ـ سأفعل ، سلام .

ـ سلام

.

مر يومان قضتهم "ريان" في حضور ندوات المؤتمر الهندسي ، والبقاء ليلًا أمام البحر لتكتب أشعارها في حبيبها "مازن" عندما عادت إلى غرفتها في الفندق قررت أن ترسل إليه رسالة عبر الايميل فوجدت مجموعه رسائل من ضمنهم واحدة كتب عنوانها "حبيبات حبيبك" لقد أرسلت إليها إحدى صديقات "مازن" صور متنوعة له مع صديقاته وهو يتبادل معهن القبل في عشق وشغف وأمامه يستقر بزهو كأس وزجاجة شمبانيا ، صور مختلفة الأوضاع تجتمع جميعها في أنه يحتضن كل منهن كما بحر غامر لجسد من معه ، وأتمت مهمتها بأن أرسلت رفق الرسالة مجموعة تسجيلات له وهو يلقى الشعر ويغني ، وأخر وهو يرتل قرأن ليهدأ إحداهن بعد أن طلبت منه

ذلك ثم يكمل مهمته بأن رقيها من شر الوسواس الخناس، وفي مضمون الرسالة كتبت لها:

لا تخبري أي شخص أنه الشيء الوحيد الحلو في حياتكَ، لأنه سيتحول إلى أسوء ما في حياتكَ بعد ذلك، لا تتعجلي بما قد يقتلك لاحقًا، كنت اعتقد "مازن" قوتي فكان دماري، تسبب في مشاكل كثيرة لزواجي والآن يريد أن يتخلص مني بسببك، كُنت دومًا أنام على صوته بين أحضان أمانه والآن هو الغافي بثبات بين موجات صوتك ليل نهار، استبدلني بك.

في لحظة تملكت منها الغيرة والحقد ومشاعر الغضب عليه، تمنت لو تريه كيف يثور بركان الثلج بعد خمود سنين، كيف تحطم فراشة أوراق النعناع لتتسلح بسم يقتل من دمر شرنقتها وهاجم عشها بعشق زائف وحب شمل كل الفراشات، ظلت تبكي لساعة ثم نظرت إلى صورته الموضوعة بجوار سريرها لتصرخ فيها وكأنه هو:

لا تبتسم هذه الابتسامة الخبيثة، هيا أمحوها عن وجهكَ، بالله عليكَ كيف تبادل شوقي العارم كطوفان بابتسامه ضعضعت أركانها، ملئت بهواء رجولتكَ الجائرة تلوح بلا مبالاة وتترنح كطفل كسول.

أغلب البشر يتمنون العودة أطفال يضحكون ببراءة، يلوكون الهم علكه، ينبشون الحزن كما الطمي بأظافرهم، يلونون قتامه الحياة بشقاوتهم، إلا أنا.. كنت دائما أتمنى فقط أن يتجمد العمر على لحظات

نكون فيها معاً أصفياء بلا هم ولا ضغينة ترمينا خارج بوتقة العشاق، كنت أنت من أعادني للحياة بعشقه، ها هي أمنيتي ضاعت كيف أُفرغ جراب حنيني إليكَ منكَ؟!

بل السؤال هل أريد؟!، كيف أُزيل بصمات بعثرة قرب ودفء اشتياق ضمنا في ليلة عربية؟! أتظنني حقا أرغب هذا؟!، كيف أمحو أثر سهرنا مستظلين بضوء نجمه فضية نحاسية الحواف برقت بلون قرمزي آسر للخيال؟! أتصدق أني قد أفعل؟!، أشتهي الموت ثم البعث بلا ذاكرة أُرهقت جراء سنين صماء عذبتني قبل أن أعرفك وبعد أن عرفتك عذبتني أكثر، دُلني كيف أنفذ هذا؟! لكن لا . .

لا تفعل أنا أحبك وليس بوسعي الحياة بدونك، بالتأكيد هي إنسانه حقودة زيفت كل هذه الصور والمحادثات، حتى وإن كانت حقيقية لا يهم المهم أنك معي تزوجتني أنا، ويومًا ما سنعلن زواجنا على الملأ وأخبر عائلتي أنني تزوجت واضطررت لإخفاء الأمر لأنكم كنتم خارج مصر ومازن كان متعجل فأتممنا الزيجة في السر حتى تعودا، لا أقدر على التشتت بلا أمل في لقاء يُطفئ بركان الحنين.

يا الله أخبرني "مازن" لم توغلت في كل تفاصيلي وأنت أضعف منها؟! لم بالله عليكَ لم؟، لتعلم هذا يوما سأخاصمك عند الله فقلبي لا يطاوعني على مسامحتك والنسيان، سامحك الله على قهري.

هل أنا سلمه صعدت عليها لتنهي مشاريعك أسرع، هل ستتركني مثل تلك الحاقدة وتذهب لأخرى، كم هو مؤلم أن تكتشف أنكَ. . طيلة حياتكَ سلمه مكسورة لأحبابكَ، حقيبة مُهملة. . تلكَ التي يُستغنى عنها دون تفكير عند حدوث طارئ، يذبح بدماء باردة اكتشاف أنكَ لا شيء يستحق التفكير قبل نسيانكَ وهجركَ.

أو تكتشف أنكَ المُضحى بسجلك وتاريخكَ وماضيكَ لعدم الحاجة إليكَ بعد اللحظة، مؤلم جداً أن تلمس كم كُنت مجرد مرحلة وانتهت دون رجعه، أن ترى نفسكَ صغيراً جدا. . جداً لأنكَ من سلمت الروح لمن ألقاها لجحيم سفلي، بشع إحساس أن تُسلب إنسانيتكَ وعندما تُقاوم تقابل بالاستهزاء وتقليل قيمة ما كان، قاتل جداً أن تُحصد أنفاسكَ بخنجر سام في الظهر، وتسحق دقاتكَ بسكين في صميم القلب، ثم يتلقفك القاتل في صدره راسماً بسمه بريئة مداوياً الجرح بخبث اللمسات.

معيب جداً أن يخرب حياتكَ من يأتي مُهللاً أنه حامي حمى قلبك ووطن لأمانكَ من شرذمة صهيل عشق الأعداء، شكراً لأنكم أكدتم لي أن لن يبقى معي دوما غير الله.

ماذا سأخبر عائلتي هل اخبرهم أنه رجل عشقني فعشقته نعم هو البادئ قاتلني ليحتل مدن قهري وحرماني، وفاز بها فحولها لحدائق بابل وملك نفسه تاج محل يحتل القلب وأركانه، وفي الكبد شيد أهرام تقيه حر العيون

المتلصصة، هو رجل في شفتي زُرع قُبلة خالدة، وعلى الخدين ارتسم وردة جوريه تُزيننني، كحل جفني بوجوده، وخطط الحاجب بهدوئه، منحني بسمات بهمساته، ولمعة عين ببسمته.

هو رجل ملكني وملكته لن أتبرأ مما كان يُثري قصصنا لكن حرق صك أماننا القريب قبل البعيد فتعسنا معنا، شنقتنا غباوة أفعاله ورمتنا لأوحال النسيان، لا بالمقدور الغفران بنسيان وتسامح لما كان، ولا بالمقدور التجرؤ بالاستمرار لبشاعة قسم قد هطل علينا من فوق جنه جمعتنا بعدة سنتيمترات، هو رجل أنعي ذاتي قبله فهو فرحة عمري التي اغتيلت لأني امرأة تعدت سنين النسيان.

.

ـ حبيبتي لقد أنهيت كل ما لدي من عمل أترين لا استطيع الابتعاد عنكِ أكثر من يومين؟

ـ اصمت لا أريد أن اسمع منك أية كلمة، أعلنت إلحادي بك وبالحب، ملحدة في دنيا العشق، بترت إنسانيتي، خُشب مسندة سأكون، باقية على عهدي مع الشيطان بمحاربة الحب وأعوانه، سأرفل في ثياب البغض كي أبقي على حقدي عليك حتى ألقاك عند من بيده مفاتيح الجنان..

هل كنت تخاف الموت وتفريقه بيننا؟! ، أتراه مؤثر؟! لا تقلق لقد قامت حبيباتك بما هو أقسى منه ونفوكَ بعيداً عن أيامي ونفوني بعيداً عن أحلامك؟! ، لا تخشى الموت وبرودة أفعالي، فلا ارغب فيك وأتمنى لو أموت الآن ليرحمني ربي من عذاب اكتشافي حقيقتك، تعال انظر . . شاهد هذه تعلم أن ما قالته صحيح، هل لديك مهرب أو كلمات تنقذني من عذابي هذا؟! .

كنت دائما تخبرني أكثر ما يُرعبني يا "ريان" أن ترثيني كما بكت بنت السمان ابن كنفاني، أو أن اخرج رسائلك وأفتتها وأن أطمر رسائلي في موقد خبزي، يضجرك أن أقول مثلها هو رجل مر بحياتي وسرير أحلامي، لا تقلق سأقول بفخر . .

كان مالك عمري وسلطان أيامي وليالي لكنه خان، كُنت شريك كفاح ناضل ليخرجني من بؤس حياتي، هل كان يؤلمكَ وجودي فذهبت إليهن تخونني معهن؟! ، كنت تشتكي من شكوك شدوي وبوح جنوني؟!

ـ لا تفهمين هن مجرد عمل علاقات ومصالح ليس إلا .

ـ تريد موتي بإجابتك تلك حسنا اعتبرني فعلت، والآن قريني هو الموجود، لا تشغل بالك برؤيته فهو مجرد شحاذ شاذ وسكير، يُعربد في الأرجاء؛ طلبا للثأر ممن سرق نصف وجوده، بل حتى سأدعو ربي ليسلبني الإحساس وأية مشاعر قد تُغضبكَ مني، فـ لكم أتمنى لو يُهديني الخرس

فضيلته فلا أنطق لأعبر عن غضبي من أفعالك، ولكم أتمنى لو صرت بعيون ظلماء فلا أرى بعدكَ غير سواد الكون . .

ليسكن كُل العالم لأعيش في مجرة صامته بعد صمم أذاني عن ما عاداك يا غالي، يا شريك أتمنى لو ينالني الموت بحربته فلا أتعذب ولا تتعذب أنتَ بسببي وبسبب صخَب أنين حنيني، كم هو مؤلم أن يسرقكَ أحدهم أغلى ما في حياتكَ، وأنت كل حياتي كيف استطعت تدميري بعد أن كنت سبب بنائي؟! .

ـ لا تكبري الموضوع رجاء فهذا يحدث كثيراً لم ابتدعه، هن كن كذلك مع غيري وسيفعلن مع غيري من بعدي .

ـ وهل تقبل أن تفعل زوجتك كذلك، هل تقبل أن تتمرغ في أحضان غيرك بحجة العمل أو أيا كان السبب؟!

ـ لست مثلهن أنتِ مختلفة .

ـ حتى وإن كنت مختلفة لماذا تفعل ما يغضب الله عليك؟! لماذا تضعني في هذا الموقف؟! لماذا تقهرني هكذا؟! لا تحاول إخراسي هل تريد أن تُكبت قدرتي على البوح والشكوى منك؟!، هل تريد أن يغلفني الصمت ترتيل وخشوع لأموت دون صوت داخل كهف الأحزان؟!، هل تريد حبس دموعي لتتحجر ويحترق القلب بلا دُخان؟! .

ـ لماذا تفعلين كل هذا جئت خصيصًا لإسعادك وتـثيرين أنـت أزمـة بـلا داعٍ ثم كل هذا كان قبل معرفتك واتحدي أن تثبت أيًا مـنهن أنـني رأيتهـا أو خرجت معها منذ عرفتك من ستة أشهر، وإذا لم تصدقينني يمكن الانفصال بهدوء فأنا لا أحب هذا النكد، لا داع لهذه الزوبعة فأنا لم أحب غـيرك ولم أتزوج غيرك ولكن إذا وصل الحد لهذه النقطة فلنبتعد برقي.

ـ هل ستتركني وحيدة لن تفعل فأنت تحبني لا تلعب بي مثلهن، كيـف تبحر سفنك وهي بلا ربان؟!، أنا ربانك هل تذكر ما كنـت تخبرنـي بـه؟!، أتبحر بغطرسة شرقي ثم تبكي الغـرق قبـل بـر النجـاة كغجـري اسـتوطنته الصحراء، هل ستتجبر وتعاند أمام أعاصير الفـراق وتختـار فراقـي، ظننـت قدرتك الصمود في وجهـة عـشيقاتك وحمـايتي مـنهن، وجـراء ظنـك هـذا عشمتني بما يفوق الخيال، والآن ببراءة عدت باكيا تعدد الأسباب.

ـ لكل منا أخطاء وقد أخبرتك يوم عرفتـك أن حيـاتي مليئـة بالأخطـاء وأنني أريد بدء صفحة جديدة معك فهـلا منحـتني الآن الفرصـة لكـي نبـدأ صفحة جديدة معًا، كانت كذبة بيضاء لتقبلي مشاركتي حياتي.

ـ لا توجد كذبة بيضاء وأخرى سوداء، هل تريـد أن تحـصل علـى كـل شيء هن وأنا؟!، نلت غرضك منهن والآن تأتي متحججًا بكذبتك البيضاء تدعوا العين للبقاء في سمائك الغائمة، والقلب في دنيـاك الخانقـة، والـروح للموت شغفا في وادي الحياة، أتعود روحك تدعو برجاء عاشق البقاء معك

في معية وجود بلا أنفاس، قرب يحرق الروح بوسوسة شكوك وألم بلا انتهاء . .

كيف نعود وبيننا الحياة في أقبح وجه تصهرنا؟ ! هل يعود من صعدت روحه إلى السماء؟ خسرنا حق الحياة دون أن نرفع للعشق راية؛ فالكيمياء المشتركة بيننا لم تشفع لنا فقد كتب علينا الفراق هو بالفعل أحكم بشباكه على جميع منافذ التنفس . .

ربما أنت على حق في هذه النقطة علينا الانفصال برقي فلا مجال لإكمال حياتي معك بعد كل ما عرفت لن استطيع أن أنسى صوتك وأنت تغازلهن .

ـ سأتركك هنا وأعود إلى القاهرة سأنتظرك وانتظر قرارك وكنوع من إثبات حسن نيتي الدائمة معك سنعلن زواجنا عندما تعودين بإقامة حفل كبير في أي قاعه تختارينها، عليك أن تحذفي هذه الرسالة وأنسى ما فيها وتذكري لم تكوني ولن تكوني يومًا مثلهن ولا مثل مكانتهن في حياتي . .

كنت معهن قاتل ومقتول اعترف لكن عندما ظهرت في حياتي نقيتها وحولتها لجوهرة نظيفة لامعه، أنت أصل تطورات حياتي وانتقالي من مرحلة العبث إلى مرحلة الاستقرار . .

اقسم بالله منذ عرفتك لم تدخل أي امرأة أخرى حياتي ولم اتصل بأي منهن لهذا يريدون تفريقك عني لأعود إليهن، فاختاري بعاد لنموت نحن

الاثنان أو تعودين لنبدأ من جديد وتمنحيني سماحك وغفرانك، فكري جيداً وقرري.

ـ كيف وعشيقتك قديسه الغنج أوجعتني قهراً وأنتَ أشبعتني وهن والحياة عذبتني صبراً، أخبرني كيف أعود.. كذاب ومخادع آه لعمري الضائع بين أوهامك.

...

.

حتى تعودي

تكبيرات العيد تملؤ سماء الإسكندرية، والبحر لازال هادئ بعد الصلاة العيد، حاولت أن اسعد نفسي لكنني لم استطع، حاولت إقناعي أنه يوم مميز على الجميع فرضًا وسنه أن يفرح لكن ما باليد حيلة، فالعيد لمحه حب ذات ضحكه، العيد أمل في لقاء من تُحب، العيد نفحة رضا من فوق عرش افترش السبع سماوات تغطي الطبقات السبع للأرض . .

العيد هو الاستيقاظ على صوت زوجة تحبك وبريقه مرح الأبناء، بهجته الإفطار على صوت أم وأب هما بركة الحياة، مرحه مشاكسة إخوة وأخوات، وجماله أصدقاء وجودهم في الحياة يأسرنا لنشكر الله قائلين الحمد لله على بديع نعمه ورزقه، لكن كل هذا ضاع يوم عرفتها . .

كانت زميلة عمل، بيضاء البشرة ذات جسد ممشوق، شعرها ليل سارح لونته بحمرة الشمس عند المغيب، وجهها دون مساحيق كما طفل ولد من حور العين، لكن للأسف علمت أنها مرتبطة بأحد الزملاء وهو للأسف صديقي .

كثيراً ما كانت تقوم بصنع الشاي لي معه لنتناول إفطارنا سويًا في المكتب، كانت تتقرب كنت أظن الأمر في البدء مجرد علاقة زمالة أو أخوية .

حتى عيد ميلادي عندما أحضرت هدية زجاجة برفان (Dark Black) ورابطة عنق ذات لون أسود فيه قلوب حمراء وفوشيا كما تقول،

كان يومها صديقي "خليل" في مأمورية تخليص أوراق شحن في الميناء تخص شركة الاستيراد التي نعمل بها، "خليل" مخلص جمركي وأنا محاسب واكتب مقالات صحفية بعدة جرائد خليجية، وهي.. هي.. "سمر" سكرتيرة المدير ومكتبها قريب من مكتبي.

يومها أحضرت الهدية وأصرت على أن افتحها وأجربها وقامت بربط رابطة العنق وهي تقول اعلم أنك تعشق ارتداء طقم كلاسيك بدله ورابطة عنق مناسبة، انظر ها هي أجمل من خاصتك، نضع قليلًا من العطر هكذا، ثم رتبت على كتفي وكأنها تزيل شيء عالق ثم بهدوء قالت:

ـ ما رأيك الآن ألطف وأجمل، تحتاج لأنثى في حياتك.

ـ لا وقت لدي للأنثى ولا للضجة المصاحبة لوجودها في حياتي.

ـ هل أنت عدو للمرأة ولكن كيف والجميع هنا نساء ورجال يمدحون فيك ويحبون جدك قبل مزحك؟

ـ لست عدوهن لكن لدي هدف أهم الآن.

ـ أن تصير كاتب كبير؟

ـ نعم.

ـ وهي ستساعدك على تحقيق حلمك سريعًا فقط امنحها فرصة وستجدها بين يديك تشجعك وتنتقل معك خطوة بخطوة وتصبر معك على الأيام.

ـ يبدو الأمر وكأنك قد أحضرتِ لي عروسة هل فعلتِ؟!

ـ ماذا عني ألا أعجبك؟

ـ ااا ماذا أنتِ حبيبة صديقي، صديقته، أقصد مرتبطة به..

ـ لست أيًا من هذا أنا وهو مجرد أصدقاء، هو يهول الأمر ولكنني لا أحبه بل أحبك أنتَ.

ـ يا الله اسمعيني إن كان الإعجاب ما جذبك لعالمي فتذكري صداقة قد أخذت مني سنين، أتبادلي تسلية لحظة بصديق عمر لي ولك؟!، لقد وثق فيكِ ولازال لودك مستأمن، مهما انطوت عليه نيتك فتذكري أنه ثمن فادح يا مستهينة بمشاعر صديقي.

ـ فكر في الأمر.

.

بعدها بدأ كل شيء يتغير كانت لحوحة تحضر لي الفطور صباحا مع عصير وتجهز لي كل فترة شاي أو نسكافية لاستطيع انجاز عملي في هدوء دون إزعاج، تستغل خروج المدير لتأتي كي تتسامر معي وعندما أتصنع البرود تجلس في صمت . .

فوجئت بها تحادثني ذات ليلة لتخبرني أنها تحبني لهذا استطاعت الوصول لرقمي، كانت تقريبا كل ليلة تحدثني هي لمدة ساعة على أقل تقدير وتخبرني أنها لا تستطيع النوم دون أن تسمع صوتي .

كنت ألمح في عيني "خليل" اتهامات كثيرة غير منطوقة، اخبرني يوم أنه يشك أن "سمر" أحبت غيره وأنها بدأت تبتعد عنه ودوما مشغولة وعندما يسألها تتحجج بأشياء واهية ولكنها لم تعد تحادثه كما كانا ودائما الموبايل مشغول ليلًا، كان كل منَّا يترقب الأخر في صمت حتى عرف . . أني أعلم وعرفت أنه يعلم ! !

بات يحذر مني ويتعمد إلقاء مزحات ثقيلة الظل عن شخص خان صديقة لأجل امرأة خائنه مثله . .

صرت أتجاهل بتصنع أي مكان يتواجد فيه، فمن يستطيع مقاومة سحر وأنوثة "سمر" غير جاحد وأنا مثله لست بجاحد فسقطت في بحر عشقها بعد صمود ومقاومة لآجلة، هو من لم يستطع الحفاظ عليها وضيعها ! !

لم الآن يلوم صنيعي؟! .

لا يهم كل ذلك ففي النهاية اغتيل بروتس كما اغتيل قيصر من قبله، فهناك بشر يجبرونك على استدعاء الموت عله يُريحك من مر خذلانك وبشاعة ما بجوفك جراء حمقهم، وهي كانت منهم حقيرة ظنت أن الحب سجن يسلب إنسانية الحبيب ويتركه عبداً يمكنه تحريكه كيف يشاء . .

لا اعرف لمَ على غيري أن يقرر لي ما أريده؟ وهي كانت تريد التدخل في أموري وكيفيه انجازي لها بغباء، افعل هذا . . لا تفعل ذلك . . كل هذه . . اقطع علاقتك مع هذا . .

كي تصل لتحقيق حلمك عليك التنازل قليلًا . .

كانت تثير أعصابي لدرجة أن اترك لها المنزل واخرج لأتمشى أمام البحر لينقذني من بشاعتها، لا اعرف لم لا تقتنع أنني أريد سعادة بتحقيق حلمي بحال ارتضيه لا ما يرضي غيري ويراه سعادتي حسب مقايسة هو، لست مستعد للتنازل والتدني لأصير ما أتمنى، لدي قناعتي بأن الشجاعة والإرادة والثقة في الله وفي النفس وفي الأخر هي متطلبات اجتياز الصعاب وفعل كل ما هو خارق في نظر الجميع، كنت أريد نجاحي بشكل خاص.

أيمكن أن يصير واقع ويأتي من يُعلنها بعلو الصوت ها أنت قد حققت حلمك فاحلم بحلم أخر أكبر، لا شيء أخر سوي حلمي المحقق بضمير

وصبر يرضيني أم هو خيال بحت رأته عين حلمي لأتعذب وأعذب قلب من أحب بلا جريرة لتوهمي أشياء لم تعد موجودة . .

يا ربي منها تثير يأسي لا أعرف كيف صدقت كلامها المعسول وهي توقعني في شباكها لتجعلني أخون صديقي وأتزوجها؟ ! ، هي من جعلني أترك في قلب صديقي غصتين ؛ غصة خيانتي له ؛ وغصة فقد حبيبته ، كنت السكين الذي طعنته به في ظهره .

كل مرة كنت أعود متأملا أنها ستعتذر لكنها كانت تدخل غرفة مكتبي لتقول ببرود :

لمَ إصرارك على كسر خاطري بأقوالك واتهاماتك الباردة؟ ! ، لم تُصر على سرقة حلمي في فرصة أو أمل سينقلني إلى عالم واسع رحب وجميل أرى نفسي فيه ملكة بل ملكة الملكات وسط باقي النساء؟ !

لم تصر على تشويه صورتك بقلبي كل يوم أكثر وأكثر . . ألا يكفيك كل ما فعلت وتفعل أم أن تجبرك فاق حد عشقك وكل ما كان؟ ! ! .

لقد بعت " خليل " لأجلك ولأجل أن تأخذني معك لعالم الشهرة والمال انظر إلى نفسك ماذا حققت لا شيء ، تعيش الوهم وغيرك قد سبقك بمراحل بآلاف الأميال وأنت أين أنت هنا لازالت قابع في شقة فاخرة في

ميامي، يا فرحة قلبي أغرتني كي احبك لم أكن اعلم أنها شرك وأنها أقصى ما يمكنك منحي . .

حولتني لقنبلة تنفجر بمجرد همسة، صدقا أدعو الله لأكرهك فقد يرتاح كلانا حينها، لأعيش مع جرحي نرتشف من ذكريات شوهتها أفعالك ففقدت بريق أحداثها، لعلي وقتها أجد من يحقق حلمي وانضم لعالم الصفوة معه.

عندما اذكرها أننا عشاق، تزوجنا لأننا عشقنا لذا وقفنا في وجه الجميع وارتبطنا رغم سابق علاقتها بـ "خليل" صديقي، خناه معًا، لأنك تحبينني وأنا كذلك، لم أخنه لأحقق لك حلم الوصول للصفوة، لم أخنه لأجل الشهرة أو كسر خاطرة وخاطر باقي أصدقائي وتحطيم صورتي أمامهم لأجل المال بل كل هذا لأجلك أنت، بكل سماجة كانت تجيب كنا عشاق لأنه كان لدي هدف أريد تحقيقه . .

ها قد مرت خمس سنوات وأنا صابرة عليك ماذا فعلت لا شيء، نحن مختلفان بيننا كثير من الاتفاق لا أنكر، فأنت رجل برداء ناري وثوري . . يسكنه الثلج بكل غرور، وأنا أنثى أعتمر الثلج ثوب خيلاء . . تسكنني الشمس والقمر بركان يفور، لا أحب الثبات أو الحال الميسور أريد كل ما غال وعال، لذا ففراقنا قدر مُقدر يوماً، صدمتني . .

حاولت إيقافها يومها صارخا انتظري ماذا تقولين؟ ألا تـذكرين عـشقنا فاق الصعود للسماء متعه، ففيه لذة الفناء بشغف وضياء خاصة أنه كان بعد حروب وأساطير رعناء قيلت عنا، كيف نفترق؟!، وافقتهـا علـى مـضض وبدأت رحلة التنازل أنهيت كل مـا يـربطني بالإسـكندرية مـدينتي الجميلـة وذهبت إلى القاهرة مهاجراً لأنل فرصة الصعود إلى القمة كما تريد زوجتي، كانت في قمة سعادتها لهذا القرار.

بدأت حضور الندوات واللقاءات الثقافية وهي معي، كانـت بارعـة في إقامة علاقات وزيادة المعارف في أقل من خمس دقائق لا أنكـر علاقاتهـا هـي من ساعدتني لأنال أول وظيفة بعد شهرين مـن حـضور هـذه الفعاليـات في صحيفة صغيرة، وعندما اشتكيت لها أن الحال لا يروق لي كمـا أن الراتـب لا يكفي وأخاف أن يتبدد رصيدي في البنك ولا أجد من يعيلنا بعدها كانـت تسخر مني وتدعي أني لا ارغب في التحرك وأريد الراحة..

استمرت خلافاتنا لشهور لرفضي ما يعرض على من عروض لا تناسب قيمي وأخلاقي، حتى فوجئت بها تأخذ حقيبتها بعد أن قررت تـرك البيـت وطلب الطلاق.

كان الجو يومها شديدة الحرارة والرطوبة عالية ولدي مشاكل كـثيرة مـع أكثر من شخص بسبب الديون المتراكمـة بـسبب حبهـا للمظـاهر وحـضور حفلات معارفها وضرورة أن تكون في مستوى لائق بهم، كنت أراها كحيـة

تنفث السم في كل أركان الشقة وفي لحظة جنون قمت بضربها حتى تجمع الجيران وكسروا باب الشقة وأنقذوها من بين يدي بصعوبة.

استغلت الفرصة وطلبت الطلاق وإلا أبلغت عني الشرطة فوافقت على شرط أن تتنازل عن جميع حقوقها لدي كنت اعتقد أنني الوي ذراعها لكن وللغرابة وافقت ووقعت الورقة بكل بساطة، كتبت تنازلها، ثم تركتني وحيد وذهبت، توقعت أن تعود ولم تعد إلى الآن، كل يوم انتظر عودتها رغم علمي أنها تزوجت بعد انقضاء شهور العدة بثلاثة أيام من مطرب مشهور.

.

هل جربت عشق فتاة تقتل كل ما فيك غيرها، إذا جربت ستفهم ما سأخبرك عنه أما إذا لم تفعل فقد فات الكثير، فهن نوعيات من النساء ليس لهن مثيل يقتلن جمود حياتك، يأخذن بيدك إلى عالم مليء بالإثارة والشهوات المتنوعة، عامر بصنوف شغف تثير شهية كبير الفاتيكان.

بعد مرور سنوات طوال على كل هذه الأحداث يستغرب أصدقائي أنني لازلت اذكرها، تلك التي يومًا لعبت بي وبصديقي وغيرنا في آن واحد يقولون:

هل لازلت تغازلها بأمل..

تكتب عنها بمقالاتك في فرح وتراودها لتعود في شغف . . تستبيح دمها أمنية في العودة . . تطاردها سكن وتغار كأنها زوجتك ثم تنفي عشقها!

هل أنت رجل مجنون يجلد قلبه عقلك يا ذا اللب الحكيم، يتندرون علي ويتلمزون انظروا إليه يعشق من خانته ويتدروش ولها في ميان أنوثتها، يتعذب شوقا وجنونا لقرب يفتك بثياب العقل، يتمنى غرق يحيه داخلها، لكن لازال يرفل في ثوب ترهبن بتوليته يقيده قيود شرقية وبغددة وسامته المسفوحة وعلى رمال صحرائها قلبه مسجي.

لا يعلمون أنها كل ليلة تناديني هامسة:

عانق خيال الحلم وادعوني سيكفي نبض همسك ليجذبني كي أشاركَ حلمكَ، يا من كُنت قوس قزح وكُنت أنا المجذوب المطارد لطيفك، اسمعني اعلم أنك مُستمتع بما يدور . . .

أعلم . . لا تبتسم . . ششـ تختفي ثانية حتى في الحلم تلاعبني.

أجيبها اقترب لتكون معي، ليتك تلتقطي نبض افتقادي، لكنك مشغولة عني بصيدٍ أخر تريه وافر، تبحثين عنه بمخالب فهد جائع، لا داعيَ لتعترفي . .

تشتهيه وتصهل أنفاسكِ لاهثة خلف إغراء بسمته، تتمنى وصله وتخشى بحره الثائر، ترغبيه بعنف يؤلم أحلامك في الثروة ويؤرق نومك إمكانية فرارة منك، شغفك بالمال كما غجرية صارخة تسكن تلال البرد؛ شهوتك للمال تثور وتسبح ضد التيار كي تخرجي من بين الظلمات بنور مسحور ولؤلؤ منثور، يجذبكِ لعالمه المليء بملائكة وشياطين الرغبة بجموح، تدعينه إليكِ بشقاوة قطه وتنمر أنثى ووداعه عصفور الجنة.

أنت أنثى الأحلام وعشق السحاب تهوين رجال الأعمال وذوي السلطة، وأنا رجل عادي جدًا أما هو فيُدرك جيداً كيف يفتن أنثى وقد وضعكِ على رأس قائمته فلا تقلقي هو مثلك يرغبكِ مع اختلاف الأسباب، هيا حبيبي أعرفك وأفهم طبعك..

تُريدينه؟ بالطبع نعم، فأنا من ربيتكَ على نيل كل ما يطلبه هواك، وتفوق الأستاذ على أستاذة نعم فأنت منذ عرفتكِ أستاذة ورئيسة قسم الوصول إلى ما تريد في بضع خطوات وفي اقل عدد من الثوانٍ.

.

اعلم أنها لو أدركت ما أفكر فيه فبغرور ستضحك ضحكتها الماجنة لتسكر كل من يسمعها وتوقعه في حبائلها، هي بغرور تظن أنها تمتلك مفاتيح عقل وجنون كل من تعرفهم، بلمسة أحمر شفاه تدخلني وغيري معها عالم الأحلام، وبهمسه حب نسبقها للسباحة فوق القمر بين النجوم

والأفلاك، مجنونة أنتِ حبيبتي ولا تُقدرين مدى عناد الرجال، لست أدري هل أنا من يُجنن حبيبتَه أم هي من جننتني؟!!

كل ليلة أناديها هيا فلتبدأ الألعاب فالليلة طويلة بطول معلقة جاهلية، تعالي إلي.

لكنها لا تأتي كيف أتخلص من سحر قربها؟، معها كان القرب مع انطباق مزدوج الأنفاس معناه رسول صلح يملك مقدمة بدء بلا انتهاء، غريق كنت في بحر عينيها أنهل شهد العشق بلا ضجر..

حبها في قلبي مدفون، والود مُصان في عيني، والعشق لغيرها لا يكون، يوم أحببتها عشقتها بجنون، كثيراً ما ابحث عمن يحبني بجنون عاقل وعقل سحقه الجنون مثلها، ولكن لما ابحث وها أنتِ خير مثال رغم كل ما كان بيننا إلا أن كلانا عن الحب مبعد.

.

أتمنى لو أراها واسألها:

من أوهمك برغبتي التظاهر بالطيبة والأخلاق لأنال إعجاب الجميع؟! فليذهب الجميع للجحيم، أريد فقط أن أُخرج ما بجوفي من مشاعر لأرتاح أنا وبالتالي الجميع، لازلت أحبكِ لمَ أطلقتِ بخور تعاويذ غرامكِ،

وأشعلت نيران طلاسم هيامك، وأنتِ غير قادرة على صرف جنيك الخادم العاشق للثروة والشهرة والمظاهر الخداعة؟!.

لن اصرخ قائلًا لم تُحبيني لكن وعذرا في هذا أنتِ لم تحترمي حبي واخترتِ الدنيا الزائفة، ليتك بقيت قليلا فها أنا كاتب كبير مشهور ومعروفَ، لم أنا مسكون بحبك وأنتِ مسكونة بالجميع هكذا؟!، معادلة غير متكافئة لماذا عندما طلقتي من مطربكِ لم تعودي إلي كما توقعت كنت وقتها قد حققت ما تتمنيه؟!.

أتعلمين قابلت "خليل" مرة أمام محطة مترو الدقي، كانت معه زوجته وثلاثة أولاد صغار عندما رآني تقدم مني وصافحني، ظننته سامحني فضحكت في وجهة وحاولت دعوته وزوجته على العشاء لكنه استغل فرصة ابتعاد زوجته لتجيب على هاتفها وقال:

من قال أني سامحتكَ وإياها فقط تركت الأمر لتصريف ربي فهو الحكم العدل واعتقد أنه قد رد لك ما فعلته معي ولا يكفيني هذا ولكني صابر، وقتها احترمته أكثر رغم الغصة الساكنة في القلب قلقًا منه ومما يتمناه لي أكثر ولم يخبرني عنه، إلا أنه غير الجميع وغيرك أنتِ لا ينجرف وراء مصالحه متغاضي عن بذاءات الجميع في حكايتهم عنه..

تذكرت ما افعله فأنا أصلي واسجد باكيًا لله أن يرزقني حياة أنـت فيهـا ورزق وافر يرضيك وهـو يـثير الـدنيا ويـشاغبها تـضحية لإرضـاء زوجتـه وأولاده، وأنتِ لمن تَذهب دعواتك لي أم للزوج الرابع رجل الأعمال. . .

يجب على التزود بالإرادة ثم الإرادة وأخيرا الإرادة فهي ما لم أتزود بهـا معك ربما حينها أنساكِ أو حتى تعودين إلى عندما أفقد رغـبتي في عودتـكِ، لقد اعتدت الحرمان حتى أدمنته منذ سنوات لـذا يجـب أن اختـار بقـرار حـر وقوي حرماني منكِ فقد أن أوان أن أعيش حياتي. . حتى تعودي.

.

موت على قيد الحياة

ضجيج وأصوات متداخلة لفتيات وشباب في عمر من أزهى المراحل العمرية، مراهقون لا يتجاوزون السابعة عشر، يمارسون ألعابهم الخاصة، منتشرون في المكان مستغلين الفاصل الزمني بين الحصص الدراسية في إحدى مدارس العريش الثانوية التجارية، وعلى مقعد جوار العلم جلست فتاتان تثرثران تخوضان في أمور الزملاء والناس وحتى الأصدقاء أثناء تناول سندوتشات الإفطار، لينتقلا بعد ذلك للحديث عن خطيب إحداهما والمشاكل المحيطة بها منذ أن خطبت.

* . *

ـ دعينا من أمري واخبريني ماذا تريدين أن اكتب لكِ يا "لمياء"؟

ـ "سلمى" . . "سلمى" أريد خطاب رومانسي مليء بكلماتك الصافية ما الذي لا تستوعبينه من طلبي لقد تشاجرت مع "حمدي" منذ ثلاثة أيام وللآن يتجنبني ويرفض تبادل الحديث معي أو حتى رد السلام، كل هذا لأنني استقبلت بن عمي سافرة الرأس، يقول كيف تقابلينه هكذا وأنتِ تعلمين أنه يريد الزواج منكِ؟!.

بدأت "سلمى" تكتب وكلما أرتها جملة اعترضت وحذفتها حتى أعجبتها جملة في النهاية وقررت أن تكتبها بخطها لتمنحها له مع وردة حمراء:

" الحب حب . . قليل أو كثير وقتما صفى ظل حب يضم قلبان لا ثالث لهما غير الرحمن، الحب كيف لا كم يترجم بقرب رغم البعاد، يترجم بقوة عشق رغم العناد، يترجم بحضن رغم الهجر والفراق، يترجم بمشاركة روح رغم المسافات الحارقة للأجساد، فإليك مني باقة ورد جوري تزين وحدتكَ، وزهرة بنفسج وأخرى ياسمين نديه تعطرا سماء غرفتك، وزهور نرجس مع قرنفلة تزين وسادتك.

وفي النهاية طوق فل يتوسطه وردة تيوليب صفراء كحبي الغيور كي تزين صدرك الغاضب من طفولة أفعالي العمياء في بعدك، السعادة أنت والبهجة عنوانك ولهذا إليك مني ألف قُبله لعينيك الناعسة وخديك المليئة بالأشواك و . . . مساؤك أنا " .

سألتني عن التيوليب وكيف أحبة ونحن لا نراه في مدينتنا كل ما نملكه زهور عادية أو ورد جوري، فبحثت على جوجل وأريتها إياه فصمتت اعتقد أنها ستهتم بالقراءة والبحث بعد الآن لترى كل ما هو جميل في الدنيا وغير متاح لدينا.

أثناء ذلك مر من أمامنا مجموعة من الزميلات، فقلب على قلبي مواجعه وجود من أحبه بينهن، كان يضحك مع واحدة لم أعرف هل هي حبيبته الجديدة أم مجرد صديقة كما يدعي ! ! ، فلدية هواية جمع الصديقات

فهن كما يقول الأكثر حنان والأكثر قربًا إلى قلبه عـن الرجـال وصـداقتهم، يكفيه ما لدية من أصدقاء رجال خارج أسوار المدرسة في عملة وحياته.

لاحظت صديقتي "لمياء" شرودي وسير عيناي خلف "طـه" زميلنـا، هي تعرف ما كان بيننا، أخرجتني من شرودي عندما سألت..

ـ ألن تكملي سندوتش الفول سيبرد ولن يبقى ذو طعـم شـهي ولذيـذ، لن يفيدك "طه" عندما تسقطين مغشيا عليك بسبب نحافتك أو عـدم تنـاول إفطارك؟! ولن يعود إليك إذا تركك خطيبك والذي لن يفعل حتـى لـو أراد لن يقبل عمك هذا منه.

ـ....

ـ كم من كريم مُهان بين السفلة، وكم من وضيع مُصان بين الأفاضـل، فهذا زمان العيب فيه صار نبراسا إليه يسعى كـل ذي مـصلحة يتخايـلَ، ألا تصدعيني بهذا كلما حدثتك عن حبي لابن الجيران "حمدي" ورفضي لحـب "أنيس" ابن عمي الذي ترينه ملاك هبط من الـسماء ليعـيش بيننـا، اقنعـي نفسك أنه كان ذا مصلحة واختفى بعد أن فشل في الحصول عليها.

ـ "حمدي" طامع في تجارة والدكِ، لكن "طه" لم يكن له مصلحة معـي أو من أبي!!

ـ لن أجيبك عن "حمدي" يومًا سأثبت لكِ أنه يحبني لشخصي، وبالنسبة لموضوعكِ قلت أوهمي نفسك بهذا لترتاحي، موضوعكِ مفقود فيه الأمل لذا علمتنا الأيام أنه إذا فقدت الأمل نهائيًا في موضوع ما، وباءت كل محاولاتك للإصلاح بالفشل، وقتها لا مانع من حرق كل مراكبك الموصلة إليه والبدء في بناء مركب جديد يضمك أنتَ وحلمك الجديد.

يعطرك أمل جديد وتغمرك روح جديدة تشاركك الحياة قبل أن تأسرك ببريقها، تحرر من ماضيك وانتهز فرصة تلو أخرى لتبدأ بقلب طفل وعقل رجل قوته وحنكته التجربة، اقنعي وارضي بحياتك وحاولي أن تحبي خطيبك.

ـ أتدرين صديقتي ما مشكلتي الحقيقية؟

ـ ستخبريننني الآن

ـ نعم سأخبركِ على أية حال، مشكلتي أنه يعلم جيدًا أنني أعشقه بكل ما فيه، غباؤه قبل ذكائه، غضبه قبل حنانه، قوته قبل الرقة البادية من لمعة عينيه لكل من يراه، لكن يعذبني بجنون أنه لا يُقدر أنني لا استطيع تحمل غيرتي عليه منهن بل منهم جميعًا رجالا ونساء، هو بين شقي رحى الدنيا

مطحون لا يقدر على مقاومة أو هروب، ومع ازدياد سخطي تمرد على وأختار شقي الرحى ملاذ.

هو فلذة كبدي فكيف يصدق غضبي عليه ومن حولنا أيضًا؟! غريب الأطوار وأنتم كذلك؟ حمقى وتدعون الذكاء، لو يخبره احدهم فقط أن "حبيبتك تحتاجك في الجوار لكن للأسف ممنوع عليها الاقتراب، فأنت فيتامين للقلب المسكين، مضاد حيوي للجسد من قسوة الحياة".

ـ بالتأكيد لست من سيخبره، لو كان يحبك لحافظ عليكِ ولصبر على الظروف على أمل صلاح الحال.

ـ أعلم هذا لكنني من أصبحت لغيره ولا ذنب له في ذلك، كان ملجأ احتواني ببراءة وجدته أثناء بحثي عني وسط تقاليد تخنقني، كنت دومًا أقرأ وأقرأ واعلم نفسي لغات أخرى لأهرب من حياتي وما فيها، حتى تعثرت به حينها وجدتني..

وعندما ضاع مني أضعتني مرة ثانية، أهواه ولأجله عشقت الدنيا وصالحت كل ما كنت أبغضه، وها هو قد ذهب، ما يؤلمني أنه لا يقدر أيا مما أشعر به ولا يمنحني فرصة أخراج بعض من ضغط يخنق أنفاسي لذا دومًا أنا متأرجحة بين عشق وغضب منه وعليه، بين ضعف وقوة، بين هدوء

وسلام داخلي وثورة تنصب عليه كما جحيم يسقى بالبنزين ليل نهار فيغرق أحبته قبل كارهيه.

ـ مجنونه وهو أشد جنون منكِ وحالتكما مستفحلة ولا أمل في شفاء أيا منكما، تتابعان بعضكما وتغاران دون مبرر، كيف تفكرين فيه وأنتِ مع غيره؟!.

ـ عائلتي من أجبرتني على الخطبة لابن عمي، لازلت أحب "طه" وأغار عليه مني فكيف لا أغار منهن، كل ما تمنيته منه فقط أن يقول أنتهي ما بيننا لكنني باق على العهد حتى يأذن الله بلقاء لكنه خذلني وقهر كل ما في، سلب مني المبرر لمقاومة ما أنا فيه عندما قال انتهى الأمر وكما تجاوزته وواصلت حياتي تجاوزيه يومًا عندما تمنحين خطيبك الفرصة سيقدم لك ما ترغبينه وسيحتويكِ وسأظل أقدرك واحترمك متمنيا لك الخير.

ـ وهو مثلكِ يقول من الغريب أن قلبه رغم البعد والعناد.. رغم العتاب والحزن.. ورغم القهر الذي عشش في زوايا روحة لازال مؤمنا بك، فأنت فقط من ملكتي القلب ولازال في حبك كما سحاب عائم في سماء الله شذبه الخشوع، لكنه القدر ولا حكم لأي إنسان على سلطة القدر.

ـ أحبة، ليتكِ تخبريه أنه كان ولازال كل ما في حياتي لكنكِ.. بل لكن كل من حولي لن يفعلوا وهذه مأساتي.

ـ وهو يحبك، لكن ما بينكما صار ماضٍ.

ـ إذن..؟

ـ لا شيء الله موجود وهو القادر على فك كرب المكروب.

ـ نعم عندكِ حق فمن قال أن حبيبي بعيد عني؟!..

هو يعيش داخل قلبي، يشاركني روحي، تأمرت الدنيا على لتبعدني وتبعده؛ رفضه أهلي لفقرة وعدم انتمائه لقبيلتنا، ورفضتني عائلته لأنني من عائلة رحالة متنقلة بين المدن رغم أن والدي استقر هنا منذ سنون طويلة يخشون أن اسرقه منهم وأعود مع عائلتي للتنقل من جديد..

حتى كبريائي وغروري أصما أذني فأبعداني بحمق وغباء أنثوي، تجبرت الأنثى داخلي حتى تركت للدنيا المضمار ترتع فيه كيفما تفتق لها، ففازت ورفعت راياتها السود على قلعه حبي.

هو يعتقد أنني أكرهه ويتملكني غضب جان ساخط، يعتقد أنني بعت ملائكيتي لأتشيطن وأخرب حياته وصفاء روحة، يعتقد حبيبته ماتت ومن تحت ثرى قبرها نبت قرين متوحش ينهش في كل ما حوله منتقمًا، لكنه لا يعلم الحقيقة..

لم يمت الملاك ولم ينبت الشيطان كل ما في الأمر أن الحياة صارت رمادية والدنيا تغطت بلون شاحب قابضان للروح ولا سبيل لتجاوز الأمر بسهولة، الأمر عسير بدونه لأنه كان الأول في كل شيء لدي ولأعبر هذا النفق وأعود إلى الله على السير في طريق طويل.

درب مظلم لا تنيره إلا شمعه صغيرة أخر الرواق، قنديل رحمه أسمة آيات القران يمس الروح بين الحين والأخر فيدفع بالثبات إلى القلب فيصبره على أمل بأمر لصالحه ممن قال "كن.. فيكون".

أخبرية صديقتي صحيح لست ملاك ولكني لست شيطان جل ما في الأمر يملؤني منه خذلان مرر جوفي، ملأ مقلتي بالدموع لكن.. الجفن وأهدابه يأبون مني إلا الصمود لذا يخفون أمطار عيني، تقويني الشفتان بذكر الله كي أقف بتواضع باسمة بقوة ثقتي في الله، أعيش ببصيص تفاؤل بأني يومًا سأنير الكون بهدوء يزيل مخاوفه، وشدو يخفف عن البشر بعض ألامهم.

أعيش على أمل نيل أمان قربة وليته يسمع نداءات صمتي قبل أن يستوعب ما بين السطور ويترجم بحنق غضبي الصارخ عليه.

ـ ها هو يضحك مع صديقاته ويشرح لهن عن كفاحه منذ الصغر وكيف يقاتل لينجح وأنت ماذا؟! تدفنين رأسك في الرمال، تقبرين قلبك

دون داعٍ، كما أكمل حياته من بعدكِ ولم يوقفها على فراقكِ قلديه واستمرِ في حياتكِ.

ـ يوجع قلبي أكثر نسيانه إياي ببساطة وسهولة، حدثته بالأمس قال ما أنتِ سوى ماضٍ يعذبني فإنسي ما كان كي يُفك قيد قلبي، كي يتركني طيفكَ لحاضري ومستقبل ارسمه بكلمات هائمة بين نجوم الخيال.

وعندما اعترضت وقلت ألهذا الحد تراها جميلة هكذا حد أن تنسيك إياي في أيام قليلة؟ هل روضت ذئبك وأشبعت نهمك المهووس للمهمات من خيال هل روت شغفك لحياة أجمل؟!

فأغاظني أكثر قائلًا: بل هي عادية ولكن معها الحرية تاج يزين رأسي لا تنغص عليّ بغيرتها النارية مثلكِ، تنهال الكلمات من نبع روحها المنطلقة بشقاوة طفلة لتتدفق في دروب قلبي همس يلهمني بديع الألفاظ وحسن القوافي والنغمات دون خوف أو تردد أو قيود.

ـ بماذا أجبته؟!

ـ لا شيء تركته وانصرفت، أتدرين لديكِ الحق في ما نصحتني به، عليا مصالحة نفسي على نفسي وإكمال حياتي دونهَ فكما عاش سأعيش، وكما استبدلني سأنساه وانتظر رزق الله، أترين كيف نظر تجاهي؟!.

ـ يا الله هو يعتبرك الآن مجرد صديقة يا "سلمى" فافهمي هذا ماذا كنت تقولين منذ لحظات؟!، كيف أُقنعك لتستوعبي حقيقة أنه ما عاد يهتم ولا يريد أن يهتم وبدء حياته مع أخرى تشاكسه وتكتب لها خطابات غرام وتهدية الأغاني، لا مكان لكِ في قلبه الآن سوى ذكريات وحنين كل فترة لماضٍ يراه بعيد.

ـ لا أريد أن اقتنع، بل أخاف أن اقتنع فأموت وأنا على قيد الحياة، صديقتي لا أكذبك لكنني خائفة هذا كل ما في الأمر.

أتعلمين أنها كانت على علاقة سابقة مع جارها ثم تركها وسافر ليرى العالم، اخبريني كيف لامرأة تجرعت الوجع، ونزفت عشقها ألمًا، أن تهدي امرأة أخرى قيح يفسدها؟!..

ربما عوضها الله بحبيبي عن تشتتها السالف ليعيد بعث أريجها لتنشره من جديد، ربما على الصبر ليعوضني الله مثلها، ربما هذا هو ما في الأمر علي تقبل كل ما حدث والرضوخ لحكم القدر..

أتمنى لو يأتي يومًا أخبره فيه:

أيها الساهر في جوف الليل باكيًا العذاب، إليك أيها المتغطرس لقوة تأثيره وأثره، القاتل لنعومة إحساس حبيبته متصنعًا القسوة والغباء، إليك أيها

الحبيب الجاهل أو المتجاهل لحجم خطيئته في حق الحب، التتاري المزروع عنوة في جوف العشق.

إليك يا صنم هدم معبد الحب على رأس البراءة فقتل العروس ليلة زفافها كمدًا، إليك أيها الراقص على أوتار الكلمات يا فيلسوف الحب الشادي، آيا طبيب أخل بقسم أبقراط وزرع فيهم حبه مرض بلا أمل في الشفاء، أهديك حبي وامتناني مغلفان بشهادة تخرجي من مدرسة وجع عشقك.

إليكَ يا وجع فتتني لليال قبلاتي لقد برئت من إدمانك ودفنت وليدكَ بعد أن عوضني الله عندما اقتربت منه عشقًا ورغبة، جودت أكثر في صلاتي ودعائي فطيب خاطري وأغرقني في الأمان.

ـ يومًا ستفعلين.

ـ لست واثقة أنني ارغب في هذا..

أجابت صديقتها بصوت هامس ثم أكملت.. أتمنى لو يزورني ذات ليلة في حلم مشترك اذهب فيه إليه واخبره..

سمعت نداء قلبك اليوم فتأكدت من ظنوني وفتشت سرك، أدركت كم تعشقني مثلما أعشقك، ولهذا قررت مجاراتك في لعبتك وادعاء نسيانك..

قد تتحول إلى حقيقة وتعشق غيري وأنا أرضى بنصيبي، وقد يرحمني ربي وتخيب لعبتك لتعود لوالدة روحكَ الصابرة بغباء على ما يحدث لها من ظلم وقهر لأنها لهوائك عاشقة، ولإرضاء الأهل مجبرة.

.

لِمَ تُحب المستحيل؟

شموعٌ تفوح برائحة فواكـهَ شـرقية، تفـاح، ليمـون، خـوخ، عنـب، وكؤوس من عصير فراولة منعش مزين بقطع الليمـون. عـزفٌ علـى النـاي يتموج في سماء الغرفة، وصوتٌ مُعاتِب صادر من زاويـة يـشع منهـا ضـوء أحمر كما بخور عربي..

ـ هل قولك "لا إله إلا الله حبيبتي" لأجيب عليكَ "محمدٌ رسول الله"، تعني أنّ ما بيننا حبٌ حقيقي؟! هل تصدق أنّ هذه الجملة تُبرئـك وتُجَمِّلـك في قلبي؟!

ـ لا، طبعًا لا، لكنها تثبت أنني أرجو مـن الله أن يبـارك مـا بيننـا، وأن يجمعنا دائمًا على خير وفي الخير حبيبتي المناكفة.

ـ سأصرخ في وجه الدنيا، وأترك شعري الصارخ كموجٍ طليق خلفـي، ستثور ثيابي وتهيم مع النسيم راقصة، سأخبرُ كل الدنيا من أَنتَ.

ـ ومن أنا؟!

ـ درويشي المغري، ناسكي الماجن، وأخبرهم أنك أوصيتني أن أُبلغـك بمـشاعر افتقـادي، أن أصـب داخـل أذنيـك بهمـس أنفاسـي الملهوفـة

"وحشتني" . حسنًا، هي رسالة فقط بواحد وثلاثون قرشًا وستفصح عن وجدي، أو بقليلٍ من الكرم خمسة عشر قرشًا وأخبرك برنة صوتي المغرية.

ـ حبيبتي والبخل توأم.

ـ حسنًا، أخبرني ماذا أفعل إذا اشتهيتُ وصلك؟! هل أقضم أظفار شوقي؟! أم أبتلع لهفتي للحظة نشوة تغمرنا؟! آه يا للوعة قلبي! هيا اقترب وامنحني قربًا يمحو أثر مساحيق التجميل عن وجهي.

اسمعني؛ قربك جنة، منه أستمد حسًا مرهفًا، فأشدو بأطيب النغمات، أُطربك وأنا في الأصل بعيدة عن عالم الغناء. لا تدري أنك من مد الروح بعذوبة الأنفاس، أنفاسك تغشاني، تعيد تكويني، تشكلني مزمار ترانيم روحية، تأسر الخلق بنبض ودٍ وغرام، أنفاسك تقتلني ولمساتك تعيد إنعاشي هائمة حالمة.

ـ أُتعلمين أنت أن قربك، حضن يتبعه حضن، لمسة تليها لمسة، قُبلة بعدها قُبلات وقبلاَت، وسط هيامي بعالمكِ يضيع الحزن، يضيع الوجع، ينتظم النبض..

ويُولد شغف ليوم جديد حدوده أنت، صرخة فرح، صرخة قرب، صرخة هيام، ثم صمت يغلفه عزف علىَ الأوتار الغانية، تدق طبول القلب

عهـراً، توشـم القـبلات بـنيران الـشوق، تنـزف اللمـسات بـدماء اللهفـة الصارخة نشوة، ويصير الالتحام مجداً وفخراً.

ـ آه منكَ، قربك يا نفسي وروحي، رحلـة أسـطورية تغـرق العـالم في سراب اللامعقول، ليمارس غوايته عليهم، لكن من يدخل النار ليجد جنته إلا من مثلنا عشق بجنون مطبق. الأغلب سيختار الجنة الظاهرة ويا للبـؤس! لا يدرون ما يخسرون، ما سيفتقدون، بسوء طالعهم هذا. .

قربك فردوس في القارة المفقودة، مثلث برمـودا لا يـسحب إلى أعماقـه غيري، يشتتني عن ذنوبي وأسوء مخاوفي، يقربني لله عبادة طـاهرة، يجعلـني أخشع لله بنفس راضية بريئة.

ـ تجعلينني أنشد لله بسبب هيامي بك، تجعلينني أصرخ شوقًا، وجـداً، شغفًا، نشوة، هيامًا. وكل صـرخاتي قـرب لله، ألا تـسمعينني أعـبر عـن صرخاتي بـ " يا الله لا تحرمني شهد لذتي منها، يا الله ارزقني المزيد من جمال وصلها " .

ـ لم يخبرني أحد أنه حتى في العـشق توجـد عبـادة، أن الرجـل ونـصفه يمكنهما التقرب زلفًا لله بوجـع الوصـل، أن بعـض العهـر فـضيلة، بعـض المجون توبة، بعض الالتحـام حـسنات، بعـض الانـصهار تـسبيح، بعـض الذوبان طهر في عالم الرحمن، عندما يكون في حصن من حلله الله.

ـ أنا راهب في دنيا غرامكِ.

ـ نعم جميع من أعرفهم قالوا عنك ناسك داخل محراب الدنيا ترهبن، عمله قرب لله، خدماته للناس صلاته، نجدة غيره صوم، ودموعه في خشية الله زكاة، أتعلم أجبتهم..

عذراً ناسك هو في دنياكم؛ لكن في حضني هو رمز لشيطان عاشق ينهل من عينيّ، ويشبع من روحي، نعم هو مولاي العاشق، لكنه لكم مولانا الناسك.

ـ حبيبتي، كلنا في الغالب مزورون، مجرد صور باسمة توهم من يراها بأن حياتها مليئة بالسعادة، بالجمال، بالنعيم، بالجنون، تخفي خلف هذه النظرات البائسة أسراراً وأسراراً، دعي المخفي كما هو طي الكتمان، دعينا نسير في أمان الله وحفظه، لا تهتكي ستر الرب فتهلكي.

ـ لن أفشي مجونك لا تقلق، تعلمني أحب مناكفتك ليس إلا.

ـ أحب بسمتك البلهاء تلك، أخاف عليك جنونك وطيشك هذا، لكن ما باليد حيلة عَلينا قبولك كما أنت وإلا انَكسر ضَلعكِ الأعوج، وبقيتُ طيلة حياتي أبكي ندمًا عَلى فراقكِ.

ـ يعجبني عقلك يا ذا اللحية الشهية.

ـ شهية؟!

أتعلمين أن صديقي طلب مني اليوم قصها، بل محوها تجنبًا للمضايقات الأمنية؟!

ـ حبيبي يا صاحب اللحية السوداء الكثة، أرجوك..

أرجوك، ثم أرجوك للمرة الأربعمائة ألف بعد المليون العاشر، لكم مرة عليَّ إعادة وصيتي هذه، لا تقص لحيتك أو تحلق ذقنك، هي ما أغرتني لعشقك حبيبي، هي من ناوشتني في البدء لمتابعة خطاك، إن استمعت لنصيحة صديقك المغرضة بإزالتها..

ستضيع مع شعيراتها محبتي، وعذراً لهذا الاعتراف الشنيع حبيبي، أعشقك بذقنك لا دونها، فهي نبراس يظهر سحر الرجل الشرقي الوسيم، تبروزك برقي يا قمري الأسمر، تكمل زينتك يا رجلي بظل اللحية الكثة، فاسمعني ولا تسمع له هذا التعِس.

ـ وماذا عن التشديد الأمني، "يتلككون" لمن يربي ذقنه الآن غاليتي؟!

ـ الله هو الحامي والحافظ ألم تُعلمني هذا؟!

ـ ونعم بالله.

ـ هيا كُن لي ونيسًا وأنيسًا، ولصرخات هيامي مأوًى دافئًا وحبًا غامرًا، ماذا قلتَ عن صرخات الهيام ثانية؟!

ـ اقتربي أكثر، نعم هكذا لأخبرك..

ـ بل أخبرني أولًا، يا أيها القريب من الله، الطرب بدندنة روحه في عشق الله الأزلي، أيها المضاهي الملائكة سجودًا وتسبيحًا. أيها المستبيح المسافات من فرط دروشته، كيف أفيق من خمر لذتك وأنت المجتاح لأنفاسي؟

كيف أكون أنا وكل كلي ذائبًا في بعضك الفاني؟

كيف أتوب عنك وذنبك أنات في عشق مخلوق أبدعه الله؟

كيف أخاصمك وأنت سر الحياة التي وهبني إياها الرب من علاه؟

أيها القريب من الله أحب قربك هذا، أرجو نفحةً من الله لأكون مثلك، فنتحد في ملكوته العلوي وأطرد بعيدًا عنك حورًا لقربك ينافسنني.

ـ اهدئي و تعالَيْ لحضني، اخشعي وذوبي في الصمت ولنتحد.

ـ إذا خشعت سأسجد وأركع لله، لن يكون هناك فرصة لنتحد، لماذا درويشي العنيد؛ لا تحاول أن تُطرب روحي كما يُطرِب قلبَك عشقُك لله؟!

ـ حسنًا دعيكِ من الحديث فيما لا يفيد الآن، لنطفئ النور . . .

* . *

ـ لماذا تقتربين ثم تبتعدين دون سببٍ واضح؟ لماذا تحولين ما بيننا إلى لعبة سخيفة؟ تعالي وأخبريني أتحبين فيَّ الشاعر المناضل بكلماته فيكِ وبكِ أم تعشقين ذاتكِ في كلماتي وأبياتي؟!

ـ لا هذا ولا ذاك.

ـ لا تخبريني أنكِ تحبين فيّ الإنسان، كل من حولي تغنّين عشقًا لحرفي وخيالي السارح بين النجوم، عشقنني كصدى لإعجابهن بخواطر كتاباتي، مارسن العشق مع أحبار وورق كلماتي فَتُيمن برجولتي شغفًا؛ وعشن وهم قصة حب حلمًا ينافس السحاب ارتفاعًا، كلكن واحد ولن تخدعيني بعيونكِ الساهية ولا حرفكِ المخادع لقلبي المساوم على حبي.

ـ كما تشاء، فلست أنا من تقاوم لتثبت ما ثُبت وسط أعاصير الافتراءات.

ـ ستموتين مع عنادكِ وكبريائكِ هذا، فاخضعي قليلًا واظهري العشق علّي أمنحكِ الأمان!

ـ اعلـم أن التيـه في أنفـاس المحبـوب، أمـان وطـن، يحتـضن أمانيـك بضمير، لكن هل نعيش في وطن يضمنا أو يحتوينا بحق لأطلب منك احتـواءً وأمانًا؟! اعلم أن الإجابة لا، فالوطن يقهر فينا منذ الـصغر، ويقتلنـا شـبابًا بحجة فداء وتضحية لملاك السلطة..

لذا لا أريد منـك شـيئًا إلا الانـصراف بأمـان لأكمـل طريقـي بهـدوء، سأبقى لأنني قابلتك يومًا أعيش، وبوجودك في هذه الدنيا أحيا؛ وإن كنـت عني بعيد، سأبتهج وأقول كيف لا أبتهج وفيّ من أثر وتأثير حبيبي ما لا يعد ولا يحصى، وكأنما بصمته الوراثية عدلت جيناتي لأصير له أمًا وابنة لا مجـرد حبيبة..

سأمارس طقوس العشق المستحيل كل ليلة وأستدعي صورتك لتتجسد أمام ناظري، وأغمضهما عليكَ لأنام قريرة العين والروح، وإن يومًا ثـارت غيرتي فسأفكر في كل ما كان جميلًا بيننا.

ـ لِمَ تختارين الهروب ونكران وجودي هكذا؟!

ـ لم أفعل، وسأظل أتذكر محادثاتنا وحبنا، فدومًا كنت تهدهد أفكاري بحديثك العاقل، ليهدأ القلب وتختفي بـراكين الـشك والغـيرة. وسـأعود في خيالي طفلتك العاشقة وقطتك الحانية، لتدغدغ قلبي بجنون العاشـق وأبقـى لأشاركك ليلك، وعندما أتثاءب وأظهر نعاسي ستستسلم وتتركـني أغفـو

على صوت ترانيم هواك الخالدة في ذاكرتي، فأنت من ارتاحت الروح لنبض أنفاسه.

اعلم أن ليلي سيكون تعيسًا بدونك. سيكون نصفي العاشق لك حزينًا، كئيبًا، ذابل النغمات.. وقد أناديك قائلة: هَلاّ جئت، حبيبي إن اخترتَ البعد وماتت روحي، لا تحزن، فهذا قدرها منذ وُلدتُ في هذا الزمان، عليك تقبل فراقي فما بيننا أشهى من أن يستمر.

ـ لماذا؟!

ـ هكذا تقبل الأمر وفقط.

.

يا حب! كنتَ ضحكة خارجة من سرب الحقيقة، لماذا تحولت إلى سلوك كئيب كما زيف الحياة؟ يا حب؛ اعتقدتُ أنكَ تعويضٌ من الدنيا عن ما تشبعتُ به من خيبات، ظننتُ أنك رجاء أُوَشوش روحي عنه. كنتُ غافلًا غبيًا ضعيف الإرادة، فما أنتَ إلا.. أمنيَّة؛ استحال تحققها، معكَ أنا واهم فما أنتَ سوى إله للعذاب.

يا ربي . . أحب من جعلتني أبغض نفسي، ليتها تستغفر عدد حبات الرمل لترتاح من عقاب الرب، لكنها كما غفلت عني غافلة عن عقابه، وفي آثامها تقبع قبحها الرب وملائكته صباحَ مساء .

بسببكِ تحدثني نفسي . .

ـ لمَ تحب المستحيل؟ !

ـ لأنه يعشقني .

ـ ولمَ تهيم وجداً بالغيب؟ !

ـ لأن فيه وعداً بلقاء .

ـ لمَ تحتمل الفراق والهجر؟ !

ـ لأن بعدهما قرب ووصال بلهيبٍ يصهر الأوصال .

ـ لمَ تسكر إذن من وجعكَ؟

ـ لأنني ثملتُ من هوى فؤاده .

ـ متى ترتاح من عذاب الغرام؟ !

ـ يوم يضمني والحبيب فضاء مغلق الفتحات .

ـ لمَ الأمل لديكَ يصارع الأزل وجودًا؟ !

ـ لأن الروح شغفت بنشوة عشقه الأبدي .

ـ صِف حبيبك؟ !

ـ هو أشهى من عنب عتق في سراديب الفاتيكان، أبهى من عنب وتوت القدس، عطره كما فواكه "نينا ريتشي" يدروشني، وجوده يطهرني كما زمزم تطهر آثام ورجس الأجساد .

ـ مختل أنت تتوهم فيها أشياء وأشياء، إن كانت كما تصف فكيف احتملتْ الفراق؟ ! كيف ارتمتْ في أحضان سواك؟ ! كيف بدلت الصبر بالتمتع بكل ما تراه في الدنيا سريع النيل، لذيذ الأثر دون مجهودٍ أو عناء؟ ! أجب . .

ـ . . . .

ـ بالتأكيد لا تجد لأسئلتي ردًا، أنصحُ قلبك بأن يعتكف داخل كهوف الصبر، اطلبْ منه أن يتدروش مع روحك في عالم تصوف جسدي ليرتاحا فترتاح، دَع عنك الماضي وتفاءل بغدٍ جديد .

ـ بل عليّ طلب مساعدة من شخصٍ يتفهم حالي .

* . *

جالسًا أسبح تبكي عيوني دون إرادة مني ، في ملكوت خاص أسبح بأفكاري ، سمعتُ صوت شيخي يناديني :

يا فتى الأشعار هيا اقترب !

اقتربتُ يكسوني الحياء بردائه ، فقال هَلُمَّ و قُصَّ عليَّ ما بالك اليوم شديد الوجوم ، لم نعتد منك الصمت والجمود؟

فشكوتُ حالي وتعبي من الوحدة والتوحد ، خوفي من الناس ومن كل ما حولي .

فنصحني شيخي سريعًا . .

عليكَ بسلك طريق الحب ، فهو ملاذ التائهين العابدين الباحثين عن الحق والحقيقة .

أجبته مستفسراً بخشوع :

لكنه ضيعني مولاي وفيه تشتت هدفي؟ !

ابتسم وقال :

هكذا أنتَ لم تدرك الأمر بعد، اختصرت الحب في معنى بسيط من معانيه، اصمت . .

قاطعتُه : ثم ماذا؟

أشار بسبّابته اليسرى هامسًا :

قلت اصمت ثم اصمت واتبع الصمت بالصمت حتى ينجلي الغامض ويتضح المخبوء، كما شمعة تتراقص في الظلام ثم يزيد ضوءها فتنقشع الغمامة، ويتجلى ما خلف ستار العتمة بعد تبدد الظلام.

أسرعتُ بالحديث :

لكنه أمر يتطلب الصبر، ولا طاقة لعبدٍ فقير الاحتمال مثلي عليه!

أجاب بوقار هو سمْتُه :

دومًا عجول، دع لأنفاسك فرصة التبحر و شُق عُباب روحك بهدوء قبل أن تهرع بالكلام، استغفر الله عشراً، وكبره عشراً، وحوقل عشراً، فلعل بعدها تجد ما يناسب المقام من مقال.

ابتسمتُ صارخًا :

أخيرًا أمر ووصية بسيطة .

أمسك كتفي وقبّل جبيني ثم قال بصوت وقور :

اصبر يا فتي، فطبع البشر الاستهانة بكل ما لا يفهمون، ليست وصيتي أن تتعجل الدعاء دون استجلاء باطنه، بل تعمق بخشوع بين حروف الكلمات واستسِغها كلقمة من فطير أمك!

حينها فقط ستجد عوالم غير العوالم تتفتح أمام بصيرتك، ونوراً يفوق توهج الشمس، ولمعة تعلو فوق القمر، تخبرك بما خلف ما سمعت من معان، ستفهم البواطن بكل يسر، وستجد أن الحب هو المفتاح المقدس لفتح أي بابٍ عصي عليك .

ستجد الحب هو مشعل الحقيقة المطلقة، وبين ومضة وومضة من إغفاءات الزمن ستختلف كل الصور وسيتغير كل ما كنت تراه لا يتغير . كُن صادقًا مع نفسك قبل غيرك تجد الراحة والسكون، كن صادقًا مع الجماد قبل البشر تنل السلام والوئام، كن صادقًا باحثًا عن الحق والحقيقة تشرق شمس روحك وتنعم بالجمال والحب مع جميع الكائنات .

أخفضتُ رأسي ونظرتُ متأملًا فرش الأرض ببلادة ثم نطقتُ همسًا: لكنّ الأمر يبدو ثقيلًا على قلبي صعبَ التنفيذ يا شيخي! فأنا شابٌ عاشقٌ للانطلاق، ولفترةٍ قريبة كنت أهوى السباحة وسط الملذات بما لا يغضب الله.

ـ فسِّر..

أحبُ يا شيخي، أحب وقلبي معذب مع حبيب غضوب يسوقه الدلال كما السلاطين، عشقتُ من أرى حبه حياة رغم سواده، الحياة لها رونق خاص رغم موتي معه. يا شيخي؛ أحب من باعني لأنني اخترت طريق الله وبعدت عن اللهو.

نزل عن كرسيه وجلس جواري ثم قال بعد صمت لحظات:

اعلم أن حب البشر يخلقك نجمة في السماء، ثم يموت فيزرعك شجرة صبار تبارز البشر في نشر الحقائق مستخدمة أشواكها للصدمات. سيطفئون أنوار الجمال بقلبك، هم من هدموا الصوامع ثم صرخوا: يا رب! لا عبيد سوانا يبتغون رضاك. بدمائنا اغتسلوا من عار قسوة قلوبهم، توضأوا بأرواحنا من أوساخ جفائهم؛ ثم تيمموا ثلاثًا بأشلائنا، مدّعين دفن خطيئة العشق؛ وانطلقوا يهللون في صلاة ادعاء البراءة.

يا بني، كنتُ مثلك يومًا، أبحثُ عن روح كنتها يومًا، عن ضياء دعمني فأسرج قناديل فرحي لتبهج العالم، أهتم بإنسان يومًا كان لي الحياة، عن سحابة كانت لي المستقر، عن حضن منحني الأمان للحظة ثم اختفى، أبحث عن قرب يعيد إشعال مدفأة القلب، أهتمُ ببريق عينين منحاني يومًا الثقة والابتسامة، أبحثُ عن مددٍ من السماء يعيد وصل ما انقطع، فوجدتُ الله يومها وجدتُني.

ـ سيدي عذراً..

من عشقته ضيع ثباتي فكيف أبحثُ عن الحق، وعن الله، وما زلتُ أستيقظ صباحًا لأناديه، أحبك ساكني، روحًا وجسداً إليكَ أشتاق، فهل من يومٍ فيه نتلاقى؟! هي فتاة عاشت بتفكير رجل؛ كبرت لتتفتح أقحوانة عازمة على إثبات ذاتها كما أفضل الرجال، مولودة شتاء وبرد عاصف تعشق الربيع وانطلاقات الصيف..

بنت البحر، لكنها غرقت فيه ثلاث مرات بل أكثر! عاشقة للحب كتابة وفعلًا وأنفاسًا تُسكرها؛ لكن منه محرومة بتصريف القدر، هكذا هي كما غيرها تعيش مثل كثيرات بين كل المتناقضات بهدوء وسلاسة، وعن وصل الحبيب مهاجرات.

ـ كلما زادت المسافة بينكما، تعمقت الفجوة. ليس لعمى الإحساس، لكن لزيادة فعالية البصيرة. تنتظم دقات الشوق على وتيرة عالية، لكنّ

الصبر على البعد ينظم دوي صخبها؛ فتتضح الرؤية، رغم حبك ستمقت كل ما تفعل، ستكره أنها سبب جنون فكرك، ستصرخ: جنّنني فكري بكِ! فهل ستنتظر حتى تطيل شعرك وتهيم في الأرض كما المخبول؟

هل ستنتظر حتى تدور على أعتاب الدور تبكي وتشكي؟

تفتش بين الحواري عن الدليل وبوصلة عمرك؟ تسعى في الأرض تائهًا، فلا يمد قش العون إلا من مثلك تائه فاقد لأمان الوصل، هل تريد أن تقف أمام دارها صارخًا..

يا محبوبتي، بحثتُ حتى فقدتُ الأمل فحثَيْتُ تراب خُف الدراويش على شعري لعله يمحو ذكرياتي، دهنتُ ببعض منه صدري لعله يعالج قلبي من وجعه، طعمتُ منه لعله يريحني من الماضي ومن الآتي ويتركني لحاضري أعيش، يا لضعفك!

ـ يا سيدي ما ذنبي والقلوب بيد الله. أبتعد وأبتعد ثم يعود قلبي يخفق باسمه، يناجيه ليلَ نهار، يستبد صارخًا:

طريقي هو، روحي هو، أنا له وهو لي! أعلم أنه ليس بملاكي، بل شيطان يسلسلني، لكنني أريد جحيمي معه، روحي تسمعه وتفهمه وتتمناه، كل ما فيّ يناديه ولا يرضى بشبه لمس من سواه، هو جنة الله على

أرضه، أحب ذلك الغضوب، لكنه يستفز جنوني فلا أستطيع الكف عن الصراخ فيه، ولا عن حبه.

ـ يا ولدي لا تضيع ذاتك، لا تخدعها وتخدع حبيبك، جِدْ نفسك أولاً ستجد الحبيب، وتجد الله قبله، صِل الله يصلك، ويصلك بحبيبك، كُن معه يجيرك.

أسرعتُ بالمقاطعة قائلاً:

لكن..

اصمت يا ولد لا تزِد!

ما لديّ فضتُ به عليك، فاصبر وتفكّر ثم تدبر شأنك كما تريد، السلام عليكَ وعلى من اتبع هدى الرحمن.

.

انتهت ٢٠١٥

صدر للكاتبة

ورقيًّا

مجموعة قصصية "روح وجسد" – دار أكد للنشر والتوزيع ٢٠١٤ .

رواية "شهرنان" ـ دار غراب للنشر والتوزيع ٢٠١٥ .

رواية "على الجانب الآخر" ـ دار الوليد ٢٠١٦ .

رسائل "ماذا لو؟!" ـ دار جولدن بوك ٢٠١٧ .

رسائل "يا أنت . . أنا" – ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٨ .

نصوص "ثرثرة وجع" ـ دار جولدن بوك ٢٠١٨ .

نشر الكتروني

نصوص "إليك أنت" ٢٠١٤ .

نثريات "ليل والحياة" ٢٠١٤ .

خواطر "اسمع بيانولا بهية" ٢٠١٤ .

خواطر "احتلال جنية الأحلام ـ كلمات ضائعة" ٢٠١٥ .

قصائد نثرية "ثنائيات ليل" ٢٠١٦ ـ مع آخرون ـ مبادرة اسمع كتاب .

الفهرس

العنوان	الصفحة
إهداء	٤
مقدمة	٥
ليتك سألت	٧
زهور الحياة	٢٥
نداء القرب	٣٥
انتقام خارج النص	٤١
نجم في السماء	٦٩
الصفقة	٨٧
قاتل ومقتول	١٠٧
حتى تعودي	١٢٥
موت على قيد الحياة	١٤١
لمَ تحب المستحيل	١٥٥
صدر للكاتبة	١٧٥
الفهرس	١٧٦